خطة تسديد التبليغ

دليل مرجعي
في التأصيل والفهم والتنزيل

منشورات المجلس العلمي الأعلى

منشورات المجلس العلمي الأعلى
الرباط – المملكة المغربية

الكتاب : خطة تسديد التبليغ

رقم الإيداع القانوني : 2024 MO 3315 Dépôt Légal :

رقم التصنيف الدولي : 978-9920-642-08-8 ISBN :

الطبعة الأولى : 2024

© حقوق الطبع محفوظة

أمير المومنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره اللّه

خطة تسديد التبليغ

دليل مرجعي
في التأصيل والفهم والتنزيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

خطة التبليغ مشروع تسعى من خلاله مؤسسة العلماء، برعاية مولانا أمير المومنين حفظه الله، إلى النهوض بأمانات العلماء في واجب تبليغ الدين من أجل تحقيق مقومات الحياة الطيبة في المعيش اليومي للناس؛ بحيث يكون لإيمانهم وعباداتهم ثمرات تنعكس على نفوسهم بالتزكية وصلاح الباطن، وعلى سلوكهم بالاستقامة وصلاح الظاهر. وذلك تحققا بوعد الله تعالى لعباده بهذه الحياة، المشروطة بالإيمان وبثمرته في العمل الصالح، في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية 97]. وذلك باعتبار الإيمان استحضاراً للالتزام مع الله تعالى على اتباع ما أمر به والكفِّ عما نهى عنه؛ وهذا الالتزام هو الذي يثمر وازعا داخليا محرِّراً للنفوس من أهوائها وحظوظها، وباعتبار العمل تجليا خارجيا يجلب المصالح والمنافع للناس، ويدرأ المفاسد والمضار عنهم؛ بحيث يكون أصل الإيمان، من خلال شعبه التخليقية الحاملة على الفضائل والمكارم،

مسددا ومقوما للأعمال؛ وتكون هذه الأخيرة منبعثة من هذا الوازع ومستحضرة له طلبا للرشد والاستقامة.

وتسعى هذه الخطة إلى تقليص الهوة الفاصلة بين فضائل الدين، وبين أعمال كثير من الناس البعيدة عن تلك الفضائل؛ وإلى وصل ما انفصل في تاريخ المسلمين بين إيمانهم وتصديقهم الذي وقر في قلوبهم، وبين أقوالهم وأفعالهم الصادرة عن جوارحهم، وكأنه لا علاقة لأحدهما بالآخر، ولا تأثير لأحدهما في الآخر. واعتقاد أهل السنة أن الإيمان يَكمُل بالأعمال ويزيد وينقص بها، وأن الأعمال تستقيم وترشد بالإيمان؛ ذلك أن الله تعالى الذي نؤمن به ونخلص العبادة له، هو الآمر في الأعمال كلها بالفعل أو بالترك، ولا يحسُن بالمؤمن أن يمتثل أمر الله في صور العبادات، وأن يخالفه في واقع المعاملات وكأنها ليست مشمولة بالتعبد، علما أن الإنسان المكلف مخاطب بالصدق والإخلاص والوفاء والبر والإحسان...؛ في أحواله كلها، في عبادته كما في معاملته؛ بحيث تكون فضاءات عمله الدنيوي محاريب للتعبد، بالاجتهاد في العمل إتقانا وإخلاصا، مثلما هي بالسوية محاريب التعبد في بيوت الله، أو التقرب بالطاعات فرائض ونوافل؛ إذ الكل في الأجر والثواب سواء، كما أن الكل، بالإخلال والعُرُوِّ عن الإخلاص في الإثم سواء.

تَتَغَيَّا خطة التبليغ كذلك، أن يتحقق الناس بسعادتهم الدنيوية وبفلاحهم الأخروي، وتراهن في ذلك على تفعيل منظومة قيم الدين وأخلاقه في مجالات الحياة المختلفة، انسجاما مع روح الدين وفلسفته في شمولها واستيعابها، وفي تأطيرها وتسديدها لأحوال الناس الخاصة والعامة. ولهذا فإن المقصود من الخطة أن تكون استثمارا عمليا في هذه القيم والأخلاق التي كانت، على امتداد الرسالات السماوية وتواترها، جوهر الديانات والمضامين الأساسية فيها؛ فيحضر الدين في منظور هذه الخطة باعتباره مصدر سعادة للناس في حياتهم الدنيا قبل الآخرة، كما يحضر فاعلا تنمويا داعما لبرامج النهوض والتنمية في قطاعات التربية والتعليم والاقتصاد والصحة والأسرة والمجتمع والبيئة...؛ ومساهما في الحد من آفات تعاطي المخدرات، والوقوع في الجرائم وحوادث السير والارتشاء والخيانة والغش والكذب، والكبر...؛ ومُنَميا للوازع الذاتي في الوظائف والمهن والمسؤوليات المختلفة وفاء وإخلاصا، التزاما وإتقانا...؛ ذلك أن الالتزام بهذه القيم المادية والمعنوية، كان ولا يزال عاملا حاسما في نهضة الأمم وتقدمها؛ كما كان للإخلال بها الدور الحاسم في سقوطها وانحدارها، بل إنها من منظور الدين ترتقي إلى كونها «**سننا**» في التغيير والإصلاح، لا يحدث شيء من ذلك إلا بإعمالها وفق شروطها ونظامها في الاشتغال. ولعل إغفال هذا المدخل كان ولا يزال، سببا رئيسا في عدم تحقق كثير

من حركات الإصلاح والتغيير، بما كانت تسعى إليه من تغيير أحوال الأمة وتحقيق نهضتها.

وتتقاطع خطة التبليغ في عملها، مع كل الجهود المخلصة الهادفة إلى تحسين أحوال الناس وإصلاحها، ومع كل النظم والقوانين والمبادئ الساعية إلى تحقيق سعادتهم والعدالة فيما بينهم، وحفظ أمنهم وسلمهم، وحفزهم على الإبداع والبذل والعطاء، بما يقوي أواصر التضامن والتكافل فيما بينهم. ويتم تنزيل هذه الخطة من خلال وسائل التبليغ والتكوين المختلفة في خطبة الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد وبرنامج ميثاق العلماء والمحاضرات والندوات الداعمة، وكذا في مقررات معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات ومدارس التعليم العتيق، وفي دروس التوجيه والتوعية عبر وسائل الإعلام والتواصل السمعية والبصرية؛ كما ينتظر أن يكون هناك تعاون مع المؤسسات المسؤولة عن قطاعات العمل المذكورة أعلاه، حيث ستحضر خطة تسديد التبليغ داعمة لجهودها ومُسندة لأعمالها بقيم الدين وأخلاقه الضرورية، المخفضة للكلفة المادية والمعنوية عن الأفراد والأسر والدولة. ذلك أن من مقاصد الدين الكبرىالتي عدها العلماء من ضرورياته: حفظ الأنفس وصونها، وحفظ العقول وترقيتها، وحفظ الأموال وتنميتها، وحفظ الأعراض وضمان كرامتها؛ حيث جاءت أحكام الدين وقيمه خادمة لها، من جهة إقامتها والتمكين لها، ومن جهة دفع

الضرر والأذى الذي يمكن أن يلحقها؛ ومن ثم اعتبارها لكل النظم والقوانين شرعية من جهة خدمتها لمقاصد الشريعة، ومن جهة انفتاح نسقها القابل لدمج الفضائل والمكارم الإنسانية واستيعابها أنّى كان مصدرها. ومعلوم أن قيم الدين هي الروافد الأصلية للمدنية والحضارة، في نشدانها تحقيق السعادة للناس، بحفظ نظامهم وتنظيم حقوقهم وضمان كرامتهم وتكافلهم. ولا يخفى أن نماذج التحضر والمدنية التي استبعدت هذه القيم من الشأن العام قد فوتت على نفسها مصادر إلهام وإمداد وتسديد وترشيد، ومعاني في الحياة بها يجمل الوجود وتتحقق السعادة، وذلك ما يفسر ظهور نزعات سوء فهم الحريات والغُلُوّ فيها، وسوء فهم التملك والإسراف والتبذير في الاستهلاك والمتع اللحظية؛ وهي نزعات أضحت محط نقد لاذع من عدد من المفكرين والفلاسفة والأخلاقيين، يدقون ناقوس الخطر المهدد لمستقبل البشرية من خلال النموذج الحضاري المادي المسرف الذي يقودها.

إن التبليغ، على وجه الإجمال، هو قيام العلماء بالحرص على الناس حتى يقوموا بأركان الدين صورا وروحا، بحيث إن لها أثر النفع الذي يؤهلهم للحياة الطيبة.

كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بمناسبة إعلان المجلس العلمي الأعلى عن خطة «تسديد التبليغ»

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه الأكرمين

السيد الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى؛
السادة رؤساء المجالس العلمية الجهوية؛
السادة رؤساء المجالس العلمية المحلية؛
السادة والسيدات أعضاء المجلس العلمي الأعلى من غير رؤساء المجالس؛
السادة والسيدات أعضاء المجالس العلمية المحلية؛
السادة المرشدون والسيدات المرشدات؛
السادة الخطباء والوعاظ والأئمة؛
السادة مناديب الوزارة الجهويون والمحليون.

والت المؤسسة العلمية اجتهادها لتأطير الناس بالإرشاد والتعليم والفتوى في ما يهم دين الأمة الشامل لكل جوانب حياتها، وذلك على الخصوص عبر خطبة الجمعة التي كان المجلس العلمي الأعلى قد وجه فيها ترشيدا إلى الخطباء بقصد مراعاة السنة واتباع أسلوب النجاعة، ولكن المؤسسة العلمية ظلت مشغولة بهمّ الملاءمة بين توجيهات الدين حسب مراد الله من الخلق وبين الأحوال المشهودة في السلوك، سيما وأن هذه الملاءمة تهم الأخلاق التي هي الشغل الشاغل للناس في هذا العصر من مختلف المنطلقات السياسية والاجتماعية والفكرية، فقد جدت في هذا العصر أمور لا يمكن للعلماء وهم يتصدون لتبليغ الدين أن يتجاهلوها وهي حرية بأن تقض مضجعهم ومنها:

أولا: أن أحوال المجتمع في هذا العصر صارت مرصودة محسوبة بالإحصاء، ولاسيما فيما يتعلق بأنواع الخوف وبالفقر والمرض والإجرام والشقاء العائلي والوقوع ضحية أنواع من الإدمان؛

ثانيا: أن لهذه الآفات علاقة بالسلوك المتوقع إصلاحه بتوجيه الدين أي بتدخل المبلغين؛

ثالثا: أن الناس أصبحوا يستعملون هذه المؤشرات للمقارنة بين البلدان، وربما وضعوا بلاد المسلمين في الدركات السفلى من هذه المقارنة؛

رابعا: أن المجتمع في هذا العصر مختبر للإصلاح من الفاعلين السياسيين والجمعويين والأمميين، وأصناف من المؤثرين في توجيه الناس من منطلقات من غير توجيه الدين.

في هذا السياق، فالعلماء يجدون أنفسهم، موضوعيا، أمام عدد لا يحصى من الأطراف التي يحق لها أن تواجههم بهذا السؤال: ما هو دوركم في إصلاح المجتمع؟ والمجتمع يعاني مشاكل الأخلاق والفتنة، وأنتم فوق منابر التوجيه منشغلون في جزئيات على هامش سياسة الجدوى، مفتونون بالجاهلين والمبطلين والغالين الذين يرون أن العلاج يكون بالاستيلاء على الحكم الذي يتيح وحده في نظرهم إصلاح الأخلاق بالإكراه لا بالإقناع والتأهيل للاتباع.

إن هذا السؤال الذي لا مفر منه كان حريا بأن يستحث العلماء لإعادة النظر في أسلوبهم في التبليغ، وحيث إن مرجع العلماء في التبين هو الأصلان، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد توقفوا عند أمانتهم التي هي التبليغ وراثة عن النبي، وتوفقوا عند مقصد حياة المؤمن وهو الحياة الطيبة. وقد هداهم هذا الاجتهاد، وهم يعتبرون حاجة الناس إلى اغتنام خير الدين، هداهم إلى التخطيط في السنتين الأخيرتين لهذه المبادرة التي أطلقوا عليها «تسديد التبليغ».

والعلماء يعتبرون هذا اليوم يوما مباركا وهم يعلنون عن هذه المبادرة، وكلهم عزم وإصرار على شرحها للناس وتنزيلها في الميدان

بأسلوب يستوحي من السُّنة الشريفة ويسعى إلى مراعاة أحوال المبلَّغ لهم في بيئاتهم المكانية والزمنية والاجتماعية.

أيها السادة، أيها السيدات؛

في الحديث الذي رواه سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «**فو الله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم**»، والظاهر أن معنى أن يهتدي بك هو أن ترشده كيف يهتدي، والسؤال هو كيف تفعل ذلك؟ بتبليغك ومثالك وإقناعك وحرصك. من سمع بخطة العلماء لـ«تسديد التبليغ»، وقرأ هذا الحديث الشريف يمكن أن يتخيل أن أدنى ما يستطيعه العلماء، يضاف إليهم المرشدون والمرشدات والخطباء والأئمة والوعاظ وسائر القيمين الدينيين، هو أن يتناول كل شخص منهم رجلا بالتذكير والدعوة إلى الهداية، يعلمه ويرشده ويعتني به لمدة معينة، حسب التوجيهات الواردة في مضمون «تسديد التبليغ» كما يقترحه العلماء. ولو قدر الله أن وقع ذلك واهتدى على يد كل واحد من هؤلاء رجل واحد كل ستة أشهر أو كل عام مثلا، لتحصل من ذلك خير كثير، لأن المعنى المطلوب بحال التغيير، وهو يقظة النفس حتى تغدو نفسا لوامة، هذا المعنى سيجد طريقه إلى عشرات الآلاف في كل عام، ولأن كل من ذاق حلاوة تلك الهداية سيسعده ولا شك أن يذيق منها غيره، والمقصود هو أن يحضر هذا الذكر الغائب، حضور

الالتزام مع الله من خلال الإيمان بوجوده وبوحدانيته حضورا ينتفي به الشح عن النفوس ويحل العطاء حتى يتحقق الفلاح، وأن يستحضر الناس أن الفلاح الذي هو مطمح الجميع قد جعل الله له محجة مبينة هي اتقاء شح النفس في الإحسان إليها وإلى الغير. وبهذا الصدد لابد من التوقف عند أئمة المساجد وعند الدور الطبيعي المنتظر منهم القيام به في شرخ خطة تسديد التبليغ وتنزيلها وذلك لحيثيات عديدة منها:

أولا : لقرب الأئمة من الناس انطلاقا من المساجد؛

ثانيا: لإمكانية التواصل اليومي مع الجماعة التي يتعين عليهم توسيعها خدمة لهذه الخطة؛

ثالثا: رصيد الإمام من ثقة الناس في أعراف المجتمع المغربي؛

رابعا: فرصة الإمام في فهم المقصود من «تسديد العلماء» مضمونا من خلال «ميثاق العلماء» ومن خلال التواصل بالمرشدين؛

خامسا: مستوى التأهيل الذي أصبح يتمتع به عموم الأمة في الوقت الحاضر؛

سادسا: معرفة الإمام بأحوال الجماعة وما يتيحه ذلك من تشخيص الاختلالات ومن معرفة الحكمة المطلوبة للتدخل مع العلماء والمرشدين.

وينتظر دور مماثل للخطباء في شرح خطة «تسديد التبليغ»، لأسباب منها:

أولا : أن موعد خطبة الجمعة موعد شرعي أسبوعي للاستماع ينتظره الجمعة؛

ثانيا: أن المجلس العلمي الأعلى مطالب بوضع نظام للملاءمة بين مشروعه في الإصلاح وبين مضمون خطب الجمعة؛

ثالثا: أنه لا مبرر لخطيب في أن لا يتقيد بخطة المجلس، لأنها تغطي كامل التبليغ مع إدراجه بشكل يستحث اتباع الناس في باب ما يتعين من ترسيخ الوعي بالربط بين العبادات وثمراتها والوعي بأن كل أعمال الصلاح تدخل في العبادة؛

رابعا: أن الخطيب الذي يفهم خطة «تسديد التبليغ» ويقتنع بها يمكن في وقت من الأوقات أن يتصرف بكيفية حرة إذا ظهر له ذلك في حدود ما هو مطلوب في بيئته؛

خامسا: أن الدخول في هذا النهج كافة، وهو نهج السنة مصوغا من العلماء، لن يترك الفرصة للإغراء الشعبوي (أي تملق بعض الناس بإسماعهم ما تهوى أنفسهم) هذا الافتراء الذي يفسد التزام بعض الخطباء.

الواقع هو أن هم حضور هذه الروح، روح التقوى من الشح وغيره، إذا جدد العلماء ومن في حكمهم إطلاقه ينبغي أن يصبح هم الأمة جمعاء، فهو في صميم شروط الدعوة حسب ما هو واضح في قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**». وهكذا فلا أمة قائمة على الإيمان إذا غاب هذا الهمّ عند المبلغ، ونحن نرى أن هم الإصلاح قائم اليوم من عدة مداخل، سياسية ومجتمعية مدنية، بقطع النظر عن المردودية وعن الكلفة، ومن هذا المنظور فلا عذر لمن يتصدى للإصلاح وللتخليق باسم السياسة أو إصلاح المجتمع في ألا يبارك خطة العلماء ويسهم فيها إذا ظهرت نجاعتها، وبالأحرى أن ينضم إليها وينخرط فيها كل من له غيرة على الدين من موقع من المواقع، أما بالنسبة للأمة ككل، فالذي ينبغي، انطلاقا من هذا المشروع، هو أن يكون إصلاح التدين همّا مستحكما في الجماعة، وما أوصى الدين بالجماعة إلا لحفظ الدين، وهكذا ينبغي أن يُنظر إلى مشروع العلماء في «تسديد التبليغ» على أنه مشروع للتعاون على البر والتقوى، فأي بر وأي تقوى أولى وأعظم من هداية الناس. فالجماعة المؤمنة كيان عضوي يصفه الحديث الشهير الذي رواه النعمان بن بشير وفيه: «**مثل المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، فالمسلم المؤمن من حيث هو، ومنذ بداية هذا الدين، فاعل عضوي، والمفروضة في كل جماعة أنها

جماعة عضوية، وصفة العضوية هنا مقابلة لصفة الأنانية التي هي الشح في وصف القرآن. وقد انتظرت الحضارة الغربية القرن العشرين لترفع على لسان بعض مثقفيها شعار «المثقف العضوي».

والمؤسسة العلمية تستعمل مفهوم «عالم الأمة»، مقابل «عالم نفسه» أو «عالم الطائفة»، وهو المتردد في هذا العصر بين التقية وبين السعار في منصات التواصل الاجتماعي، والجماعة بوصفها العضوي هي وحدها القادرة على حفظ الدين وإصلاح التدين. وتتجلى صفتها العضوية في هم ينبغي أن ينطلق من المساجد التي يأتي إليها الناس للصلاة جماعة، ولذلك يتعين على العلماء أن يجددوا شرح معنى الجماعة حسب الحديث المذكور أي بإضافتها إلى الهم الجماعي، وأنها ليست مجسدة في مجرد من يحضرون للصلاة وهم متناكرون يتزاحمون في الخروج من المسجد. على أن المقصود ليس هو خلق جماعة بأشخاص محددين داخل المساجد، لأن ذلك، إن تساهل فيه الإمام، يوشك أن يكون فرصة لمترصدي الاستقطاب السياسي أو الانحراف العقدي والمذهبي أو الطموح الزعامي الموطن عند مرضى القلوب، وإنما المطلوب هو تذكير كل من يتردد على المسجد بحظوظه في رحمة الله ووعده بالتمكين فيها وبأن يكون من هذه الجماعة بشرط واحد هو التحاب في الله والتعاون على البر والتقوى، ومقصده تغيير ذاتي يتحقق بالاكتساب الواسع لمقومات الحياة الطيبة في محيط المسجد. وهكذا

فأول الآثار المرجوة لخطة «تسديد التبليغ» هو انبعاث الهم الجماعي لإصلاح التدين ميدانيا في كل مكان، وذلك بإحياء التزكية وتحقيق الفلاح المرهون بوقاية الأنفس من الشح، وحيث إن مبلغي هذا الوقت كسابقيهم هم ورثة الرسول عليه الصلاة والسلام فواجبهم هو السير على نهجه، ومن ثمة فالهم الذي هم مطالبون به مؤصل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية 129].

فهمّ التبليغ اليوم هو قبل كل شيء همّ مؤسسة، ثم هو همّ من تنتدبهم المؤسسة للدعوة فرادى وجماعات. وهذا يقتضي، كما قلنا، إيقاظ روح الإيمان في الجماعة وإشراكها فيه كما لو كان رأسمالا نفيسا، ولتبدأ هذه الجماعة الفاهمة المهمومة ولو بشخصين أو ثلاثة أشخاص في كل مسجد، فالخير يكون طَلًّا ثم ينهمر.

وبهذا الصدد؛ ينبغي استحضار حقيقة مهمات التبليغ النبوي، وأنه لم يقتصر على تلاوة الآيات، وإنما نص بعدها مباشرة على التزكية، أي تربية المؤمنين على أن يخلصوا العبادة لله وأن يتحرروا من عبودية هواهم ثم التدرج في التحلي بالتقوى أي الالتزام مع الله تعالى من خلال الأركان وسائر الأنفاس. والذي غلب على التبليغ في حياة المسلمين وإلى يومنا هذا هو «تعليم الكتاب»، ولكن الاستعداد لاتباع أحكام الكتاب وفضائله يتوقف على التأهل النفسي المنوط بالتزكية،

وهي حال قبل أن تكون علما، حال قرار التقوى بالصدور إذا سكنه تلك الهمة الدافعة الرادعة المسماة بالوازع، وازع يفعل في المؤمن حتى يسارع إلى ما ينبغي إتيانه وحتى يقوى على ترك ما ينبغي الانتهاء عنه. ومن عناصر مهمات التبليغ أن يفهم الناس وجوه ارتباط مصالحهم الدنيوية بأوامر الدين ونواهيه مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَ اَحْسَنتُمْ اَحْسَنتُمْ لِاَنفُسِكُمْ﴾ [سورة الإسراء، الآية 7].

فكيف يمكن للمبلِّغ النموذجي المهتدي في نفسه أن يبدأ عمليا وميدانيا في هداية الناس؟

يمكنه ذلك بفتح أعين الناس على حقائق أربع ترتبط بواقعهم، وهي:

أولا: أن أحوال المسلمين في التدين اليوم بعيدة عن المطلوب في اتباع أحكام الدين وفضائله؛

ثانيا: أن هذا الابتعاد هو سبب شقاء الناس في حياتهم إذا كانوا يؤمنون بأن الله تعالى وعد بالحياة الطيبة بشرطي الإيمان والعمل الصالح؛

ثالثا: أن شرط صحة العبادات مرهون بثمراتها في أخلاق المتعبد، قياسا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت، الآية 45]؛

رابعا: أن علاج هذه الحال وتضييق الشقة بين الدين والتدين يكون بإيقاظ النفس من سباتها لكي تصبح كما سماها القرآن

«نفسا لوامة»، وهي في لغة اليوم تسمى «الضمير»، أي نفسا تحاسب صاحبها كل وقت، لاسيما في خمسة أمور تتعلق بالأركان وهي:

1) استحضار حقيقة التوحيد وأنه التحرر من عبادة الهوى وتقوية هذا التحرر بذكر الله ذكرا كثيرا وشكره بكرة وأصيلا، وأول ما يقتضيه هذا الاستحضار الامتناع عن جميع أنواع الكذب على الله أو على النفس أو على الغير؛
2) إقامة الصلاة في وقتها؛
3) الحرص التام على إيتاء الزكاة على جميع أنواع الأموال وإعطائها لمستحقيها؛
4) الحرص على صيام رمضان بآدابه؛
5) الحرص على الحج بشروطه؛

ثم بعد هذه الأمور الخمسة المتعلقة بالأركان، فالتبليغ يقتضي تربية النفس على المحاسبة في جوانب السلوك، ومنها:

- الحرص على الالتزام بثوابت الأمة، لأنها حصنها ضد الفتنة التي تذهب بالدين وبالتدين وباليقين في الحياة، واعتبار أن كل إسهام في الأمن من جميع أنواع الخوف من صميم التعبد والتدين؛
- الحرص على أكل الحلال، أي على الإخلاص في العمل المأجور وعدم الغش في المعاملات بجميع أنواعها؛

- الحرص التام على المعاشرة بالمعروف بين الأزواج، فهذا المعروف واجب شرعي وهو من أوكد العدل كما أنه مقوم حسن بتربية الأطفال وأساس سعادة الدنيا؛
- الحرص على تربية الأولاد على روح المسؤولية في الحياة، الأمر الذي لا يتنافى مع المحبة لهم والحنو عليهم؛
- الحرص على الوفاء بجميع أنواع العقود؛
- الحرص على الالتزام بالقوانين الجاري بها العمل باعتبارها داخلة في المعروف حافظة للمصالح؛
- الحرص على أداء حقوق النفس، ولاسيما بالحرص على الصحة العقلية والبدنية من خلال نظام سليم في التغذية ومن خلال نظام في النوم، يؤخذ في الأمرين بنصائح المختصين؛
- الحرص على تجنب التهلكات، ولاسيما أنواع الإدمان؛
- الحرص على أداء حقوق الغير؛
- الحرص على تجنب كل أنواع الإسراف والتبذير؛
- الحرص على الإنفاق من كثير ومن قليل؛
- شرح حكمة التبليغ بالتربية على درجات من سمو النفس، ومن أجلِّها نقل اللذة من الأخذ إلى العطاء؛
- الحرص على المشاركة في الشأن العام بروح التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

من أجل تسديد التبليغ في هذه المواضيع عبر خطب الجمعة والوعظ وبرامج الإعلام والاتصال الميداني يتعين على العلماء وضع ورقة لكل موضوع تتضمن أربعة جوانب:

أولا: تأصيل الموضوع؛

ثانيا: تشخيص التفاوت الحالي بين توجيه الدين وواقع التدين في نفس الموضوع؛

ثالثا: الإقناع بتصحيح السلوك في هذا الجانب وأثره المرجو على حياة الفرد والجماعة؛

رابعا: إدراج توجيهات ذوي الاختصاص في ما يتعلق بالتدخل الميداني للمبلغ من أجل الإقناع والتصحيح في كل موضوع من المواضيع.

لأن المبلِّغ إذا كان يستعمل أسلوب الرغب والرهب مطالب بأن يستعمل ما هو محتاج من جانب العلم في الإقناع بالاتباع في كثير من توجيهات الدين بيانا للمصلحة ولأسلوب التغلب على النزوعات النفسية الجماعية إلى الانحراف.

إن مشروع العلماء هذا ليس فيه أي جديد مبتدع في المضمون، وإنما هو إحياء لما هو أصيل في الأسلوب، وهو مع ذلك مشروع عقلاني يتميز بأمور تستوجب الإبراز ومنها:

- الترويج لهذا العنوان الأصيل في الكتاب والسنة وهو «التبليغ»، كأمانة في عنق العلماء؛ ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المقصود بـ«العالم» في هذا السياق ليس مجرد متخصص في علوم الدين كيفما كانت، بل هو المتكلم في الدين من جهة الدعوة والإرشاد سواء كان عضوا في الهيئة العلمية أو لم يكن؛
- الكلام عن «تسديد التبليغ» يتضمن إشعارا بالوعي الذي يتعين أن يكون مشتركا، ألا وهو أن التبليغ، كما وقعت ممارسته لحد الآن، مع ما رصد له من وسائل مادية وبشرية وما يُفنى فيه من الوقت، لا نجد له ما هو مطلوب شرعا من الأثر الحميد في حياة الناس؛
- أن هذا التنصيص على الجوانب التي تتطلب الإصلاح في حياة الأفراد والجماعة يُعد خروجا من الارتجال إلى التنظيم والترتيب، وذلك إعانة للناس على استحضار المطلوب في تغيير عوائدهم ومخاطبة عقولهم بما هي مؤهلة له اليوم من وجوه الفهم السليم؛
- أن الخروج الميداني للعلماء خروجا مصحوبا بالاهتمام والإلحاح والمتابعة والتقييم ظل أمرا غير معهود.

فإذا تصورنا عالما وعالمة يخرجان إلى حي أو إلى قرية، ومعهما مرشد ومرشدة، يلتحقون بالإمام في المسجد، بعد أن تكون قد تمت توعية هذا الإمام بأن هذا الحضور يجري في إطار ما سبق له أن علم بمضمونه وهو

مشروع «تسديد التبليغ»، فإن ما يتعين أن يجري على سبيل الاقتراح هو ما يلي:

- مخاطبة الجماعة التي تحضر صلاة الجمعة، وتخصص الخطبة الأولى للموضوع كله إجمالا، مع التركيز على ضرورة المحاسبة الذاتية من جانب كل مؤمن ومؤمنة على مدى مطابقة التدين للدين لغاية تحقيق خيري الدنيا والآخرة، ومن الأنسب أن تصدر الخطب الأولى في الموضوع عن المجلس العلمي الأعلى؛
- أن يتولى العالم والعالمة شرح الخطبة في جلسة وعظ (بعد صلاة العصر بالنسبة للعالمة وبعد صلاة المغرب بالنسبة للعالم)، وذلك لإشعار الناس ببداية مرحلة جديدة في تعاون الجماعة على التقوى، وهي العمل بحكمة الدين في جوانب الحياة؛
- يتردد المرشد والمرشدة يوميا على المسجد لشرح الموضوع وفق مضمون يصدر عن المجلس العلمي الأعلى؛
- يعود العالم ومعه العالمة في الجمعة الموالية، وتكون الخطبة في بيان جوانب الحياة التي ينبغي فيها الحرص بالتدريج على المطابقة بين توجيه الدين وسلوك المتدينين، وهي خطبة ينبغي أن تصدر كذلك عن المجلس العلمي الأعلى؛
- يتولى العالم والعالمة شرح الخطبة كما في الأسبوع الماضي.

يمكن في العمل الميداني الاستئناس بالنص المنشور على موقع الوزارة بعنوان: «**مذكرات الإرشاد**»، علما بأن توجيهات المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية هي التي يجب أن يكون عليها العمل بهذا الصدد.

وهكذا يكون الخروج إلى الميدان كل أسبوع حتى تبرز في المسجد وحوله جماعة تحمل مع الإمام والمرشد والمرشدة همّ «تسديد التبليغ» الذي ينبغي أن يبحث له بعد مدة معينة عن بدايات الآثار في واقع الاتباع.

يتعين أن يضع المجلس العلمي الأعلى برنامجا لغاية الشرح والتوضيح والتفعيل لمدة ثلاثة أشهر.

بعد ذلك يستمر الشرح والتوضيح عبر خطب الجمعة والوعظ وبمختلف الوسائل، ثم يتم الانتقال إلى تتبع ميداني مناسب لأنواع الخلل في الجماعة وإمكانية تدخل التبليغ بأسلوبه لإصلاحها، وذلك بما يعبر عن الحرص على الإصلاح وعن الهم الجماعي من جهة، وعما ينبغي الالتزام به من الحكمة في التناول ومن احترام الحياة الخاصة للناس من جهة أخرى.

ينبغي رصد الوقت الذي يمكن فيه أن يبدأ الحديث عما تم تحقيقه من إصلاح وعما ينبغي أن يستهدف من جوانب الخلل.

إن واجب العلماء في تسديد التبليغ يتمثل أساسا في توعية الناس بالحقائق المذكورة أعلاه بغاية توجيههم إلى تصحيح التدين بمراعاة

السلوك القويم في مختلف جوانب الحياة، بدءا بتلك التي تم ذكر عناوينها أعلاه. ومن أجل ذلك يتعين على العلماء أن يبينوا للناس أسباب نزول هذا البرنامج ويذكروا لهم موجز مضمونه دفعة واحدة، ثم يقفوا عند تأصيله وتفصيله بما ينقد الناس مما عانوا منه لحد الآن، وهو كثرة الاستماع إلى الخطباء والوعاظ يذكرون قول الله وقول رسوله ﷺ في غير تمييز لا للأولويات ولا للروابط ولا لمنافع الأشخاص والجماعات من الاتباع. ومن شأن الأسلوب الجديد مع ما قد يستلزمه من التكرار والتقرير أن يبعد الناس عن تشتت الذهن في مسائل الدين والتدين، بمعنى أن المرحلة الجديدة ينبغي أن تجعل الحال والمقال يتساوقان، مع التركيز على السلوك العملي لا على الخلافات الجزئية النظرية، وفي سبيل ذلك يتعين على المجلس العلمي الأعلى ما يلي:

أولا: تنوير المجالس العلمية المحلية بالمقصد وتزويدها بالوثائق اللازمة لتنفيذ خطة التبليغ؛

ثانيا: الحرص على تدبير الجانب الإعلامي المتعلق بالخطة حتى لا تُترك الفرصة للمحادين من الجاهلين والمبطلين والغالين؛

ثالثا: وضع خطة تبين وجه إسهام المرشدين والمرشدات ووجه إسهام الأئمة؛

رابعا: وضع برامج إعلامية رصينة مواكبة؛

خامسا: وضع مواد صالحة للتصريف عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي بمختلف مقاساتها وأحجامها.

وبعد هذا كله؛ ينبغي اعتبار «تسديد التبليغ» سيرورة دائمة، يتم تعديلها أي تسديدها باستمرار من حيث أسلوب التدخل لا من حيث المضمون وذلك بحسب نتائج التفاعل مع الميدان. وهو تفاعل ينتظر أن تستنبط منه خبرة أصيلة واسعة يستفاد منها في هذه المهمة، خبرة لم يسبق أن طرحت على الفهم لا من جهة العلم ولا من جهة الدين.

وفي الختام، نعبر عن يقين وعن حسن الظن بأن الله تعالى سيؤتي المبلغين الذين سيسهمون في «تسديد التبليغ» خيرا على ما في قلوبهم من خير، وبأنهم سيحسنون بأن يقدموا للإسلام، خصوصا، ولحياة الناس عموما، نموذجا من الإصلاح يجري عنه البحث في كل مكان على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة. وهو بالإضافة إلى كل ما ذكر باب جوهري لما يسمى اليوم بـ«التنمية البشرية»، وميزتها من جانب تبليغ الدين أنها تنطلق من تزكية الإنسان أي إصلاح محركه بتحرير النفس من أنانيتها لتحقيق الخير للنفس وللغير.

وبنتائج هذا العمل في الميدان سيضطر المتطرفون والمبطلون والجاهلون إلى النكوص عن الاشتغال بالتشويش الكلامي، كما ستتغير فهوم كثيرة تتعلق بجوانب لا كلام عنها من جهة الدين في البيئة الحاضرة. وعلى سبيل المثال فإن رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي

والبيئي حول موضوع «من أجل مجتمع متماسك خال من التسول» يدخل في دائرة ما ينبغي أن يهتم به العلماء وإن كانت اقتراحات الحل كما يراها المجلس لا تتحدث عن أثر مرجو من جهة تبليغ الدين لأن الأمر غائب كما قلنا في البداية، ومثال آخر يمكن إيراده من الدراسات العلمية الدولية التي تقرر أن كل دولار مستثمر في الوقاية الصحية يقدر عائده على الاقتصاد بما هو ما بين دولارين وأربعة دولارات في اقتصاد البلد.

وهذه الأهمية والخطورة مما ينبغي أن يزيد في حماس المبلغين المشاركين في المشروع وفي يقينهم وإصرارهم وصبرهم قبل أن يغدو الإصلاح هم الأمة بأسرها كما يرجى، ويكون لهم بذلك فضل المأجورين السابقين. وهكذا فـ«تسديد التبليغ» وعلى سبيل التكرار المقصود هو:

أولا: سعي إلى إحياء العمل بالدين؛

ثانيا: سعي إلى تفعيل رافد غير عادي للتنمية؛

ثالثا: سعي إلى تغيير شامل من أجل الحياة الطيبة الموعودة في القرآن؛

رابعا: أن الموضوع يهم الدنيا بأسرها ويتجلى في السؤال الآتي: هل من إصلاح اجتماعي ممكن في هذا العصر من جهة الدين؟

خامسا: أن هذه التجربة هي الكفيلة وحدها بمعرفة القدر والمدى

الزمني للأثر الإيجابي للتبليغ وذلك من خلال إذا انعكس إصلاح التدين بشكل ملموس على تخفيف الكلفة النفسية والمادية على الأفراد والجماعات وعلى الدولة، هي كما قلنا معرفة لا يمكن أن تكون مسبقة، إذ هي رهينة بالتجريب.

أيها السادة، أيتها السيدات،

إن هنالك أمورا يتعين على علماء المغرب الوعي بها لأنها تدخل في الفرص المتاحة لهم، سيما إذا قورنت بيئتهم ببيئات العلماء في جهات أخرى، وهذه الإيجابيات تزيد في الوقت ذاته من ثقل أمانة هؤلاء العلماء، ومنها:

- تَمَحُّض أهل المغرب لعقيدة أهل السنة؛
- تمحض أهل المغرب للعقيدة الأشعرية التي لا تقبل التكفير؛
- تمحض أهل المغرب للمذهب المالكي الذي يحتاج من العلماء إلى أن يكونوا قدوة في العمل به حماية لعموم الناس من الفتنة التي تتسرب من الخلاف في الجزئيات؛
- انضواء أهل المغرب في نظام إمارة المؤمنين على امتداد تاريخهم وإلى يومنا هذا، وتزيد أهمية هذه الميزة في الوقت الحاضر حيث أصبح المسلمون يتشوفون إلى نظام مؤصل من جهة الشرع يرعى شؤونهم في الدين والدنيا؛

- ما تحقق برعاية هذا النظام من اجتهاد بمصطلح الوقت وآلياته للوفاء بكليات الشرع وهي حفظ الدين وحفظ الأمن وحفظ العقل وحفظ المال وحفظ العرض، وكمثال على حفظ الدين الزيادات المتوالية في مكافآت الأئمة، وكمثال على حفظ العرض الدعم الاجتماعي الأخير للأسر المستحقة.
- حيرة المسلمين في إقامة نظام تربوي على أيدي العلماء وشيوخ السلوك يحمي قيمهم الأخلاقية في سياق نظام عيش تنافسي يهددها، وإمكان إقامة هذا النموذج على أيدي علماء المغرب بفضل ما توفر من الشروط الموضوعية المذكورة؛
- حاجة الناس إلى العلماء لتأطيرهم وتقوية مناعتهم الروحية بزرع روح الشكر والصبر أمام حالات انعدام اليقين التي تلوح في أفق الدنيا؛
- حاجة المغرب إلى العلماء المتقين لحماية البلد ممن يتربصون به من الجاهلين والمبطلين والمتطرفين وجميع الأصناف من أعداء الوطن والدين.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

1. السياق

لقد بذلت المؤسسة العلمية جهودا مقدرة في وقاية التدين بالمغرب، وتحصينه من النزوع إلى الغلُوّ والتشدد، وتحريره من التشويش والتأثير الخارجي؛ حيث استقر العمل بالثوابت والاختيارات المذهبية، حتى غدت عنوانا كبيرا على نموذجية التدين في هذا البلد، في توسطه واعتداله وفي وحدته وانسجامه وفي سماحته وانفتاحه؛ وكان ضروريا أن تتصدر هذه المرحلة اهتمام العلماء، وأن تستغرق جهود المؤسسة العلمية وأعمالها من أجل وقاية هذا النموذج وتحصينه، حتى ترسخت به الهوية الدينية المغربية المتوارثة عبر القرون والأجيال.

تهيأت المؤسسة العلمية للدخول في مرحلة جديدة تتمثل في خطة «**تسديد التبليغ**»، وذلك في سياق سعي المؤسسة إلى جعل هذه المرحلة على رأس أولوياتها في العمل؛ مرحلة تتغيّا من خلالها الإسهام في الارتقاء بالخلق الجماعي للناس وتحسين ظروفهم في الحياة، وذلك من

خلال الاستثمار الأمثل في قيم وأخلاق الدين في شمولها وتأطيرها لمضامين الحياة المختلفة؛ وهذا يقتضي جملة أمور ضرورية، نذكر منها:

1. استحضار الفرق بين الدين والتديُّن

وذلك من خلال الوعي بالتدين باعتباره: جهدا، وسعيا، وكدحا، وعملا دؤوبا، كما دلت على ذلك الآيات في تنصيصها على:

﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَٰنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلأَوْفَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية 37 -40]؛

و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَٰقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق، الآية 6]؛

فالدين لا يحل بنفسه في حياة الناس ولا يسهم في تقويمها وترشيدها إلا من خلال هذا الجهد والسعي المبذول، وهذا هو معنى التكليف الذي كُلفه الإنسان في تمثل قيم وأحكام الدين؛ ثم إنه مهما كان الجهد والسعي المبذول في التمثل، ضعيفا أو متوسطا أو حسنا، فهو مقدور المكلف وطاقته، لقول الله تعالى:

﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَاۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [سورة البقرة، الآية 285]؛

و﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَآ ءَاتِيهَاۚ﴾

[سورة الطلاق، الآية 7]؛

حيث ينبغي لهذا المكلف أن يكون توّاقاً ومتشوفا باستمرار لما هو أفضل؛ ولكن كل ذلك لا يعكس، بأي حال من الأحوال، حقيقة الدين الكلية المطلقة التي تبقى معيارا ومرجعا في التقويم. فالدين من الحقائق الوجودية الكبرى التي خلق الله تعالى الناس من أجلها لقوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات، الآية 56]،

والتدين كسب الأفراد والمجتمعات البشرية عبر التاريخ من تلك الحقيقة؛ وهذا التدين الفردي والاجتماعي هو الذي ينبغي أن يُقَوَّمَ باستمرار، فمتى أصابه الوهن وجب وصله بمعاني تلك الحقيقة من جديد لاستئناف دورة جديدة من الحياة.

2. تخليق الدين للحياة

لم تكن دعوات الرسل والأنبياء المبلغين، بعد الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، إلا هداية الناس إلى مكارم الأخلاق والتخلق بالخلق الحسن؛ ولم تكن مضامين الديانات والشرائع كلها إلا مضامين وتشريعات أخلاقية، تسدد وترشد حياة الناس الفردية والجماعية؛

فكان الرسل والأنبياء قدوات للناس في هذا الباب، كما قال الله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾

[سورة الأنعام، الآية 91]؛

وكان رسولنا الكريم أكملهم وأجمعهم لتلك المكارم، ولهذا قال ﷺ: «**بُعِثْتُ لأتمِّم حسن الأخلاق**»[1]، ويكفي في ذلك ثناء الله تعالى عليه بالخلق العظيم:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [سورة القلم، الآية 4].

ولهذا فمعيار الصلاح والاستقامة في الدنيا إنما هو التخلق بالخلق الحسن؛ ومعيار الفلاح والقرب في الآخرة إنما هو التخلق بالخلق الحسن كذلك؛ ففي الحديث: «**إن مِنْ أَحبِّكم إليَّ وأَقْربكم مني مجلساً يوم القيامة أَحاسنَكُم أخلاقاً**»[2]، وقوله ﷺ أيضا: «**ما شيء أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حَسَن، وإن الله ليبغضُ الفاحش البذيء**»[3]، وقوله ﷺ أيضا: «**اتَّقِ اللّٰه حيثما كنتَ، وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلقٍ حَسَن**»[4].

(1) **موطأ الإمام مالك**، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق، وعند أحمد وغيره صالح الأخلاق، وفي روايات مكارم الأخلاق.

(2) **جامع الترمذي**، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معالي الأخلاق.

(3) **جامع الترمذي**، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق.

(4) **جامع الترمذي**، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشرة الناس.

ولقد كان طلب الأخلاق والفضائل قديما، ومطلب تخليق الحياة حديثا، الغاية الإنسانية الكبرى التي تنشدها النظم الفلسفية والتربوية والاجتماعية والسياسية؛ فبها تستقيم الحياة وتطيب، وبها يحصل الأمن والطمأنينة، وبها يتحقق التضامن والتعاون، وبها تُدرأ المفاسد والآفات.

3. شمول مفهوم التعبد

وذلك بتجاوز الفهم القاصر الذي يحصر نطاق التعبد لله تعالى في إقامة ظاهر بعض الشعائر، وفي التردد على محال العبادة وحدها؛ ظنّاً من المتدين صاحب هذا الفهم أن أعماله الأخرى في الإدارات والمؤسسات والمتاجر والمهن وسائر المرافق العامة، ليست مشمولة بالتعبد ولا يترتب عليها جزاءٌ ثواباً كان أو عقابا؛ وهذا ما يبرر ازدواجية سلوك كثير من الناس في تمثلهم لأحكام الدين وقيمه، طاعة في أعمال ومعصية في أخرى؛ علما أن المتدين محوط بأحكام الشريعة والتكليف في جميع أحواله وفي كل أعماله حيثما كان، وأن الأعمال كلها موزونة بميزان الشرع مهما كبرت أو صغرت، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُۥ﴾ [سورة الزلزلة، الآية 8-9]،

﴿وَقُلِ إِعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُومِنُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية 106].

4. وَصْل الإيمان بثمرته في العمل الصالح

وذلك استدراكا على الفصل الذي يقيمه كثير من الناس بين إيمانهم وأعمالهم، وكأن إيمانهم شيء وأعمالهم شيء آخر؛ في حين أن الوازع الباعث على الاستقامة في الأعمال كلها وعلى تحري أوجه الصلاح والصواب فيها، إنما هو الإيمان نفسه؛ وأن الآمر بالفعل أو الترك في هذا العمل أو ذاك، إنما هو الله جل جلاله الذي نؤمن به. فالعمل الصالح كمال في الإيمان وثمرته اللصيقة به، وتقدم معنا أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي؛ ولقد ربط الله تعالى بين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في جل آيات الكتاب؛ وورد في الحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن**»[1]. قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه على مسلم: «الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان».

5. وصل العبادات بثمراتها في تجنب المعاصي والمنكرات

ذلك أنه كما للعبادات مقاصد في الطاعة والتقرب ونيل الأجر والثواب، فلها كذلك مقاصد في صلاح باطن الإنسان وظاهره، وأثرٌ على الاستقامة في جميع أحواله، أقوالا وأفعالا. فإن آفة الفصل بين

(1) **صحيح البخاري**، كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه؛ و**صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله.

العبادات وثمراتها، هي نفس آفة الفصل بين الإيمان والعمل؛ وكما قرن الله تعالى بين الإيمان والعمل الصالح، قرن كذلك بين العبادات ودورها في تجنيب الناس المعاصي والمنكرات؛ كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾

[سورة العنكبوت، الآية **45**]،

وفي الأثر عن ابن مسعود: «**من لم تأمره صلاته بالمعروف، وتنهه عن المنكر، لم يزدد من الله إلا بعداً**»[1]؛ وفي الحديث: «**رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، وربَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر**»[2]؛ لأن: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[3]. والزكاة مُطهرة للأنفس من الشح والبخل والذنوب، وبركة في الأموال بالنمو والزيادة، لقول الله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾

[سورة التوبة، الآية **104**].

وقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

[سورة البقرة، الآية **197**].

---

(1) **شعب الإيمان** للبيهقي، و**المعجم الكبير** للطبراني.

(2) **سنن النسائي**، كتاب الصيام، باب ما ينهى عنه الصائم من قول الزور والغيبة؛ و**سنن ابن ماجه**، كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم.

(3) **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

وفي الحديث: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**»[1]. وهكذا هي سائر الطاعات والشعائر الدينية، لها ثمرات عملية تترتب عليها ضرورة، وينبغي أن تتجلى في سلوك الناس وعلاقاتهم؛ وهي بقدر ما تقرب العبد من ربه، تُقوم سلوكه وتحول بينه وبين المعاصي وسائر المنكرات المفسدة لذلك القرب.

6. الدين للحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة

وذلك لدفع توهم يسيطر على بعض الناس في كون الدين إنما جاء طلبا للفلاح الأخروي فقط، ومن ثم ذمُّه لكل ما هو دنيوي تحقيرا له وتنفيرا منه. في حين نجد الدين حريصا على تحقيق السعادة الدنيوية قبل الأخروية، وعلى التمتع بزينة الحياة الدنيا والطيبات من الرزق فيها، كما قال الله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [**سورة الأعراف، الآية 30**]؛

ولهذا جُعل الوعد بالحياة الطيبة في الدنيا، قائما على التحقق بشرطي الإيمان والعمل الصالح، كما شُرط الفلاح في الآخرة بحسن السعي إليها في عالم الدنيا، كما يبين ذلك قوله تعالى:

(1) **صحيح البخاري**، كتاب الحج باب فضل الحج المبرور؛ و**صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة؛ واللفظ للبخاري.

﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [سورة الإسراء، الآية 19].

إن الإسلام دين يتميز بالاعتدال في نظامه التشريعي وبالتوازن في قيمه الأخلاقية، بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، في الوقت الذي تجنح فيه تيارات فكرية ودينية كثيرة إما إلى غلُوّ روحاني أو إلى غلو مادي، ويكفي أن نقرأ في هذا المعنى قول الله تعالى:

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾

[سورة القصص، الآية 77].

7. تسديد التبليغ والشأن العام

فالإسلام وَسَطٌ بين اعتبار الفرد واعتبار الجماعة، ويقتضي منطقه في هذا الباب أن الفرد يؤثر على الجماعة، وأن الجماعة تؤثر على الفرد في باب التدين، ومن ثم في الحياة كلها؛ وهذا ما دلت عليه تجارب الإنسانية، سواء تلك التي قصها علينا القرآن أو غيرها مما ورد في أخبار التاريخ. وبصدد البعد الاجتماعي، فإن القرآن الكريم في آيات كثيرات منه، يوجه إلى بناء الحياة الجماعية على أسس أو قواعد أخلاقية، نذكر منها:

- «التواصي بالحق والتواصي بالصبر»؛
- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»؛
- «التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان»؛
- «أن يكون الأمر شورى بين الناس»؛
- «الوفاء بالعهود والمواثيق»؛
- «التراحم بين الناس والإحسان إليهم ومسالمة الكائنات»؛
- «العدل والمساواة في الحقوق والحريات»؛
- «عدم الغش أو الخيانة في المهن والمسؤوليات»؛
- «حفظ الأمن والنظام العام» ... وغيرها.

فإن من واجب المبلغين هنا، أن يشخّصوا الحال في هذه المستويات لتقويم تدين المسلمين أمة وجماعات، والنظر فيما تتعين الدعوة إلى تغييره وتحسينه. يضاف إلى هذا أن المسلمين يعيشون في هذا العصر نمطا من العيش صنعه تاريخ الاقتصاد في الدول المتقدمة عن المسلمين في هذا الباب، وهو نمط يتحكم في السلوك إذا لم يتحرر الفرد و لم تتحرر الجماعة بتوعية العلماء على أساس ما تم ذكره.

فتدبير الشأن العام هو التدبير السياسي، والدولة بوظائفها ومسؤولياتها على رأسه؛ ولقد صاغ علماء المسلمين الواجبات التي تنبني عليها مشروعية هذه الدولة وسَمَّوْها بالكليات الخمس. والدولة

في نظام المغرب مجتهدة في ضمان الوفاء بهذه الكليات، ومن ثم وجب أن يدخل في تبليغ العلماء بيان السياسة الشرعية في مساندة الدولة في الوفاء بكليات الدين؛ كما تتعين حمايتها من جميع أنواع المشوِّشين على اختياراتها، لأنهم مشوشون في الوقت ذاته على مهمة العلماء في التبليغ وعلى أدائهم لأماناتهم المنوطة بهم.

8. اليقين في تحقق وعد الله تعالى لعباده

ذلك أن الله تعالى وعد عباده وعودا كثيرة، وشرطها بشروط لا تتحقق إلا بها، ومتى وفَّى الناس بهذه الشروط تحقق وعد الله لهم، لأن هذا يقين مرتبط بالإيمان بالله تعالى تصديقا بكل ما يخبر به، ولقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران، الآية 9]؛

ولقد نصر الله تعالى عباده في مواطن كثيرة، ووفقهم لسبل النجاة والانتصار والتفوق فيها؛ ولقد قاد المسلمون، وهم على قدر من التحقق بتلك الشروط، حضارة إنسانية أبدعوا فيها من العلوم والفنون والآداب إبداعا مشهودا، وقدموا فيها للناس نماذج من سمو القيم والأخلاق الدينية؛ ولما تخلوا عما به نهضوا أخذ زمام المبادرة غيرهم. ولا يزال وعد الله لعباده بالاستخلاف والتمكين قائما لقوله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة النور: 53]؛

ويبقى الإيمان والعمل الصالح دائما من شروط الدين في تحسين الحياة، الأول تتحقق به الهداية والمعنى فيها، والثاني تتحقق به النهضة والرقي بها.

9. تسديد مناهج وطرائق التبليغ

فكما كُلف المرسلون بتبليغ مضامين الدين في الحياة، والتي بها تتحقق سعادة الناس، حيث كانوا قدوة لهم في ذلك؛ كانت لهم أيضا مناهج وطرائق متعددة في التبليغ، بحسب الحالات والنوازل العارضة لهم؛ ولما كَمُل الدين وخُتم بالإسلام، كان أجمعَ وأوعب لهذه الطرائق والمناهج في التبليغ، في تغيير ما بالأنفس وما بالناس من أحوال، ترغيبا في المحاسن وترهيبا من المساوئ، تبشيرا بالمعروف وتنفيرا من المنكر، تيسيرا على الناس لا تعسيرا عليهم، تدرجا بهم من حال إلى حال، والتلطف بهم في كل الأحوال؛ بل إن الدين رتب سننا في التغيير وجعلها شروط صحة فيه، وحدد أولويات جعلها من ضرورياته. ولهذا أخطأت وتخطئ كل الحركات التغييرية التي لا تتحقق بشيء من تلك السنن والأوليات، أو تتحقق ببعضها دون بعض.

10. واجب العلماء في التبليغ

وذلك بحكم وراثتهم لوظائف النبوة في حملهم مسؤولية تبصير الناس بحقائق الدين، وهدايتهم إلى فضائله ومحاسنه، التي بها يكون

لوجودهم معنى ولحياتهم طمأنينة، والتي بها تحصل الاستقامة في الأقوال والأفعال؛ فيُحصلون بذلك سعادتهم الدنيوية وفلاحهم الأخروي. وبقدر ما ينبغي أن يستشعر العلماء ثقل هذه المسؤولية المنوطة بهم وجوبا، بقدر ما ينبغي أن يجتهدوا في الالتزام والوفاء بشروطها في النفس ومع الغير؛ أي تحققا بالصلاح والاستقامة في النفس، واجتهادا في إصلاح وتقويم الغير؛ ثم التزاما بمناهج التبليغ وطرائقه المقررة في القرآن والمبينة في السنة النبوية كما سيأتي بيانه.

11. التقويم بقياس الأثر

لقد كان هذا المعطى في مناهج التغيير الديني مغفولا عنه، وكان العمل على تغيير أحوال الناس يُعَول، في الغالب، على عنصر الزمن والأحوال العارضة أو السانحة، أكثر من التخطيط والبرمجة والتقويم؛ وليس المراد بالتقويم هنا مجرد التقويم النظري الإجمالي، بل التقويم الذي يستند إلى قياس العمل بالأثر المتولد عنه من خلال مؤشرات يتم اعتمادها في هذا السياق؛ ذلك أن قطاعات الحياة المقصودة بالتخليق، قطاعات ميدانية قابلة للقياس كما وكيفا، ومن الطبيعي أن يستعان في هذا بالمؤسسات المسؤولة وبذوي الخبرة بهذه الاختصاصات؛ فهذه الخطة، من جهة اختصاصها، تتغيّا دعم كل الخطط المعتمدة في خفض مؤشرات الفساد والانحراف، والتقليل من الآفات الصحية والأخلاقية

والتقليص من العنت والكلفة على الناس والدولة، والإسهام في الرفع من مؤشرات التنمية في المجتمع.

12. موانع في التبليغ

ذلك أن اتساع الهوة بين تعاليم الدين وفضائله، وبين أحوال الناس في الحياة، لا تعني إلا شيئا واحدا، وهو وجود عوائق وموانع معينة تحول دون استجابة الناس، أي دون تأثير مضامين الخطاب الشرعي في الناس؛ ولأن هذه الموانع تقع خارج الخطاب الذي كله هدى ورحمة للناس، فإنها لا تخلو أن تكون في المُبلِّغ الذي يمكن أن يخطئ سنن التبليغ بسوء فهم أو تأويل أو سوء تقدير؛ أو في أداة التبليغ وطريقته التي لا توصل مضامين الخطاب على أصلها، من الوضوح والبيان، ومن الرفق واللين؛ أو في المبلَّغين الذين ينبغي أن يُذَكروا دائما بأن الإيمان المؤثر في المؤمن والمثمر للعمل الصالح، لا يتوقف عند الشهادة القولية بالتوحيد، بل هو أيضا التحلي بالتوحيد الذي يحرر من عبادة الهوى ومن الأنانية المتحكمة بالنفس؛ علما أنه قد تحول ظروف أو عوائق معينة، في محيط الناس وأحوالهم أو في التشويش على أفكارهم من بعض الغلاة والمتشددين، دون استيعابهم لخطاب التبليغ ومن ثم عدم تحققهم به؛ وهذا ما تحاول خطة تسديد التبليغ العمل ما أمكن على تجاوزه.

13. الفرص السانحة في التبليغ

ذلك أن بلدنا المغرب ولله الحمد، عرف منذ تاريخه القديم إلى اليوم، اختيارات دينية شكلت لحمته ووحدته، ودفعت عنه كثيرا من الآفات ومن نزعات الغلو التي حملتها تيارات متشددة وفدت إليه ثم غادرت؛ حيث كان للمذهب المالكي وللعلماء المالكية دور حاسم في تحصين هذا البلد، كما كان للعقيدة الأشعرية دور مماثل في دفع نزعات التكفير، وللسلوك الجنيدي دور مماثل في ترسيخ قيم التزكية وأخلاقها، ثم إمارة المومنين الحامية للملة والدين ولهوية البلد عبر التاريخ.

ولا يزال لهذه الاختيارات نفس الدور في المغرب الحديث، بالإضافة إلى مشيخة العلم المتوارثة التي استقرت في مؤسسة علمية دستورية لها اختصاص القول في الدين تحت إمرة مولانا أمير المومنين؛ حيث أسهم كل ذلك في وحدة وانسجام الخطاب الديني، وتميزه بالتوسط والاعتدال وباليسر والسماحة المقررة في الدين.

وكل ذلك بمثابة فرص سانحة للتبليغ، حيث تهيأت ظروفه المناسبة اليوم أكثر من أي وقت مضى؛ وحيث أضحى الشأن الديني عملا مؤسسيا، من جهة تدبيره الإداري، ومن جهة التكوين العلمي لأطره والقيمين عليه؛ وكل ذلك مما ينبغي استثماره والبناء عليه في جعل تدين الناس مسهما في جلب الطمأنينة والسعادة لهم، ومخفضا لكلفة الحياة عنهم.

ومهما يكن من تداخل وتقارب بين العناصر المذكورة أعلاه، والتي سيتم بسط القول فيها قليلا فيما سيأتي، فإن قيمة هذا المشروع تبقى متمثلة في كونه مشروعا تتوخى المؤسسة العلمية من خلاله، تحقيق أثر إيجابي فعلي للدين في حياة الناس؛ وذلك بإعادة شؤون التدين إلى نصابها السليم، من خلال ترشيدها ليتأتى إرجاعها إلى مقصود نزول الدين الكامل، الذي من أعظم مقاصده جَعْلُ تَدَيُّنِ الناس وسيلةً إلى طِيب حياتهم التي تتحقق معها سعادتهم، وتحصل بها طمأنينتهم وسكينتهم؛ خاصة مع ملاحظة تزايد الانحراف عن تلك الغايات النبيلة بدليل ما نشهده من مؤشرات رداءة الحياة المسببة لتعاسة الإنسان وشقائه.

2. التأصيل

1. التبليغ وظيفة الأنبياء

إن التبليغَ وظيفة الأنبياء المرسَلين جميعا، وإنَّ أكملَهم في ذلك رسولُنا محمد ﷺ؛ ذلك أنَّ التبليغَ هو العنوانُ الجامعُ بل والمقصدُ الكبيرُ، لصورِ وأساليبِ الأداءِ التي انْتَهَجَها هؤلاء الرسلُ المُبَلِّغونَ مع أقوامِهم الذين أُرْسِلوا إليهم وُبعِثُوا فيهم؛ ولقد سَمَّى الله تعالى الرسالةَ نفسَها بلاغا

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية 54]،

كما حَدَّد وظيفةَ الرسولِ في البلاغ:

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [سورة المائدة، الآية 101].

فالتبليغُ إذن لفظٌ كليٌّ جامعٌ، أصلٌ لما سواه مما يدور في معناه من وسائلَ يُتَوسَّلُ بها مثل الدعوة والبيان والوعظ والتذكير... وغيرها. وهو كما تذكر معاجم اللغة[1]، يفيد معنى: الإيصال والانتهاء إلى

(1) انظر: **مفردات ألفاظ القرآن**، الأصفهاني؛ **لسان العرب**، ابن منظور؛ **تاج العروس**، الزبيدي؛ مادة (بلغ).

أقصى المقصدِ، أي وصولُ الأمرِ إلى غايتهِ ومنتهاهُ، واستيفاءُ كلِّ أغراضه ومقاصده.

وفي القرآن الكريم نقرأ عن الرسل المتقدمين قولَ بعضهم لأقوامهم:

- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ كما قال نوح لقومه [سورة الأعراف، الآية 61].
- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ كما قال هود لقومه عاد [سورة الأعراف، الآية 67].
- ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ كما قال صالحٌ لقومه ثمود [سورة الأعراف، الآية 78].
- ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ كما قال شعيبٌ لقومه مدينَ [سورة الأعراف، الآية 92].

وذكر المفسرون في بيان معنى «أبلغكم» في قول كل واحد من هؤلاء الرسل، معاني متعددةً، منها:

- «أديت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربي من أمره ونهيه»[1]؛
- هو «تَبرُّؤٌ من التقصير في معالجة كفرِهم»[2]؛
- «لقد أبلغتكم رسالة ربي كاملة غير منقوصة»[3].

(1) **جامع البيان**، الطبري، (الآيات).

(2) **التحرير التنوير**، ابن عاشور، (الآيات).

(3) **التفسير الوسيط**، الطنطاوي، (الآيات).

أَيْ أنَّهم يُؤكدون المعنى السابقَ في إيصالِ الرسالةِ إلى الناس، وبُلوغِهم بها المنتهى والمقصدَ المطلوبَ. وكلُّ النماذجِ المتقدمة وردتْ في سورة الأعرافِ، حيث جاء بعدها مباشرةً:

﴿وَلَوۡ اَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالاَرۡضِ﴾ [سورة الأعراف، الآية 95].

أَيْ لو أنَّهم استجابوا لتبليغ رُسُلِهم بالإيمان والتقوى، والتقوى ههنا من اتقاءِ المفاسد والمحرمات ولزومِ الطاعات، لأنزل الله عليهم من النعم والبركات، ما به تطيب حياتُهم ويسعدون في دنياهم.

ولهذا فالقرآنُ حينما يقص علينا قصةً من قَصص الأنبياء مع أقوامهم، فهو يزودنا بسُنَّة من سُنَنِ الإصلاح، وبمنهج من مناهج التَّغيير؛ سمَّاها القرآنُ الكريمُ لثُبوتِهَا واطِّرَادها: «سُنَّةَ الأَوَّلِينَ»، الَّتِي يُمْكِنُ أنْ تُصِيبَ أيَّ أُمَّةٍ بالنِّعَم أو بالنِّقَم بحسب أحوالِهم،

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡاَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾

[سورة فاطر، الآية 43 - 44]؛

ويمكن القول بأنها القواعد الكونية والاجتماعية والسلوكية، التي تتحقق بها العلاقة الحتمية بين العلل والنتائج، وبين السعي وثمرته. ولهذا فَكُلُّ قصة هي نموذجٌ وإمكانٌ من إمكانات التغييرِ الكثيرةِ الَّتِي استوعبها القرآنُ الكريمُ، وليست مجردَ إخبارٍ أو ذكرى للتاريخ؛ ولهذا

أيضا كانت تَعْقُبُ تلك القَصصَ سُنَّةٌ أخرى أهملها المسلمون كثيرا، هي سُنَّةُ «الاعتبار»؛ وما أكثرَ ما ورد في القرآن الكريم:

﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [سورة الحشر، الآية 2].

أما بخصوص أكملِ صورِ التَّبليغِ، مع رسولنا الكريم عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ؛ فهو، من جهة، مُشترِكٌ مع سائر الرسل في واجب التبليغ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [سورة المائدة، الآية 69]؛

ذلك أن التبليغَ مشروطٌ بوصول البلاغ إلى المبَلَّغين كاملا غير منقوص. ولهذا قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع: «**ألا هل بلَّغْتُ اللهم فاشهَدْ**». وهو، من جهة ثانية، لأن رسالته لها من المميزات والخصائص ما لم يكن للرسالات قبلها، ويكفي أن نذكر من ذلك أمرين اثنين:

الأول: أنها بحكم اصطفائها الخاتم، رسولا ورسالة، هي نسقٌ مفتوح على الزمان والمكان والإنسان، رحمةٌ للعالمين وللناس كافة، في التبشير بقيم: العدل، والتراحم، والإحسان، والبر، والتعاون بين الناس؛ وأي نموذج في الصلاح والاستقامة ينبغي أن يستحضر هذا البعد الإنسانيَّ الممتدَّ في الإنسانية، وإن ابتدأ بأفراد أو جماعات محدودة؛

ولهذا كانت وظيفةُ هذه الأمة، إمامة الأمم إلى قيم الحق والعدل والخير والمعروف، لقول الله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية 110]؛

وقوله كذلك:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة، الآية 142].

وكل فرد في هذه الأمة، هو نموذج مُصغر منها، في حمل وتمثل قيم وأخلاق الدين، وفي أدائها وتبليغها إلى الناس؛ وأي نموذج ناجح في الإرشاد، هو قابل للتعميم والامتداد في الناس، بحكم منطق الاصطفاء الكلي الشامل المذكور. ولهذا كان الأنبياء المُصطَفون عليهم السلام، قدوةً لرسولنا الكريم ﷺ كما أمره الله تعالى بقوله:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾

[سورة الأنعام، الآية 91]؛

وكان رسولنا الكريم ﷺ، بعد جمعه وتمثله لهذه القدوات، قدوةً وإسوة لنا وللناس جميعا، كما أمرنا الله تعالى بقوله:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 21]؛

والمفروض في كل من وَرِثَ شيئا من هذا الميراث أن يَتمثَّلَه في نفسه، وأن يكون فيه قدوة لغيره.

الثاني: أن هذه الرسالة مُستوعِبَةٌ لنماذج التبليغ في الرسالات السابقة، ولهذا كانت أكثرَ عددا في أساليبها وأكملَ صورا في طرائقها التبليغية؛ ويكفي أن نذكر من وسائل التبليغ فيها ما يلي:

- **البيان**:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

[سورةالنحل، الآية **44**]؛

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة النحل، الآية **64**]؛

- **الدعوة**:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل، الآية **125**]؛

- **التعليم**:

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾

[سورة البقرة، الآية **128**]؛

- **الهداية:**

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[سورة الشورى، الآية 49]؛

- **التذكير:**

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ **[سورة الغاشية، الآية 21]،**

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ **[سورة ق، الآية 46]؛**

- **الإنذار:**

﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ **[سورة الأنعام، الآية 20]،**

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ **[سورة الأعراف، الآية 1]؛**

- **التبشير:**

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية 47]؛

- **الجمع بين التبشير والإنذار:**

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ **[سورة مريم، الآية 98]؛**

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

[سورة البقرة، الآية 118].

ويدخل في هذا كذلك الترغيب والترهيب والتذكير بالنعم، وغير ذلك من أساليب التبليغ المتبعة للوصول إلى المقصد المبتغى.

2. التبليغ أمانةُ العلماء

هذا عن تبليغ الأنبياء عليهم السلام، الذين أَدَّوْا ما كُلِّفوا به غير منقوص؛ ويَحمِل هذا التبليغ عنهم، بالأساليب المذكورة، ورثَتُهم من العلماء؛ فتلك هي أمانتهم الدينية والعلمية تجاه الناس، لقول النبي ﷺ: «**العلماء ورَثَة الأنبياء**»[1]؛ وقوله: «**بلِّغوا عنّي ولوْ آية**»[2]؛ وقوله: «**يَحْمِل هذا العلمَ من كل خَلَفٍ عُدولُه**»[3]؛ كما ورد النهي مشددا عن كتمان شيء من العلم وعدم تبليغه، لقول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [**سورة البقرة، الآية 158**]؛

ولقول النبي ﷺ: «**من سُئل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار**»[4].

---

(1) **جامع الترمذي**، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة؛ و**سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم.

(2) **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(3) **التمهيد** لابن عبد البر، 1/254-256، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).

(4) **جامع الترمذي**، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كتمان العلم؛ و**سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، وغيرهما.

فواجب العلماء إذن، باعتبارهم حاملي ميراث النبوة، تبليغ ما حَملوه بقدر تفَقُّهِهم فيه وعِلمهم به وتبصيرُ الناس بما يجهلون من حقائقَ مقررة في الدين، وإبراز أثرها في جلب سعادتهم الدنيوية وفلاحهم الأخروي. وهم بحكم تلك الوراثة، معنيون بالمهمات الأربع التي خوطب بها النبي ﷺ في قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة، الآية 2].

فبعثة الرسول ﷺ كانت في قومه الأميين الذين لم يسبق فيهم كتاب. وهو يشترك معهم في هذه الصفة، فهو كذلك:

﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ [سورة الأعراف، الآية 159]؛

وذلك مدعاة لأن: «ينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحِكم التي تلاها»[1]. كما أن التنصيص على كونه: «منهم»، أمر يؤكد أصالته فيهم، وحضوره معهم، وعيش أحوالهم؛ وتفيد أيضا: «معنى الملازمة: أي رسولا لا يفارقهم، فليس مارا بهم كما يمر المرسل بمقالة (...)، وكون الرسول منهم وكتابه بلغتهم، هو

(1) **جامع الأحكام**، القرطبي، (الآية)؛ ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى**»؛ أي دعاء إبراهيم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية 158)، وبشارة عيسى بقدومه ﷺ في الإنجيل.

أعون على تلقي الإرشاد منه؛ إذ ينطق بلسانهم ويحملهم على ما يصلح أخلاقهم، ليكونوا حملة هذا الدين إلى غيرهم»[1]. ولهذا يبقى أمر القرب من الناس، والتواصل معهم، وكسب ثقتهم، والاطلاع على أحوالهم، ومشاركتهم عوائدهم، وبعض أفراحهم وأحزانهم، والإسهام في تلبية احتياجاتهم، وحل مشكلاتهم...؛ كل ذلك وغيره، من عناصر النجاح في التبليغ، والقبول من المبلغ، وترتب الآثار والثمار المرجوة.

تقرر الآية الكريمة كذلك **أربع مهام** للنبي ﷺ، هي لورثته من العلماء بعده: **تلاوة الآيات والتزكية وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة**؛ والذي يتعين على العلماء شرحه للناس في موضوع هذه المهمات الأربع:

أولا: أن تلاوة الآيات أي الوحي المنزل قد تم تبليغه، والله تعالى حافظ له؛ والأمة، لاسيما هذه الأمة المغربية، حاملة لتلك الآيات ومعتنية بها حفظا وقراءة وتجويدا؛

ثانيا: أن المهمة الثانية وهي التزكية، هي بيت القصيد في تبليغ الدين؛ لأنها تعني عملية تغيير ما في نفوس الأفراد والجماعة، وتعني خلق الاستعداد أي التقوى في المومنين، حتى إذا علموا ما في الكتاب عملوا به وترقوا في ذلك العلم وذلك العمل إلى مراتب الحكمة؛

(1) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، (الآية)؛ وانظر فيه الربط الجميل بين أسماء الله الحسنى الواردة في مطلع سورة الجمعة وهذه الآية، بحيث جعل لكل اسم علاقة بمحور من التبليغ.

يقول ابن عاشور في سياق الآية عموما: «وفي وصف الأمي بالتلاوة وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس، ضرب من محسن الطباق؛ لأن المتعارف أن هذه مضادة للأمية. وابتدئ بالتلاوة لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي، وثنى بالتزكية لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس (...)، وعقب بذكر تعليم الكتاب لأن الكتاب بعد إبلاغه إليهم تَبين لهم مقاصده ومعانيه (...)، وتعليم الحكمة هو غاية ذلك كله؛ لأن من تدبر القرآن وعمل به وفهم قضاياه نال الحكمة»؛

ومفهوم الرجس هنا عند ابن عاشور وعند غيره من المفسرين، لا ينبغي قصره على الشرك الذي هو عبادة الأوثان، وعلى المحرمات مثل الميتة والخمر والميسر وغيرها، ذلك أن معظم ما يصرف الناس عن اتباع ما في الكتاب من العلم والحكمة اليوم، هو عبادة هوى النفس وعدم القدرة على التحرر من حظوظها، كما قال الله تعالى:

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الفرقان، الآية 43]؛

أي الهوى الشخصي الذي نسميه اليوم بالأنانية، فالتربية الغيرية التي ربى عليها الرسول ﷺ أصحابه هي أن يحب كل واحد لأخيه ما يحب لنفسه حتى تتحقق الأخوة في الجماعة وتتهيأ للفضائل.

وبحكم وراثة العلماء للأنبياء، فإنهم يضطلعون كذلك بمهام دفع الشبه وأشكال الغلو والتنطع في الدين، لقول النبي ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1]؛ فإذا كان هناك غلو أو ادعاء لمعنى من المعاني لم يكن مقصودا في الدين، أو تأويل هو أقرب إلى الجهل بحقيقة الدين منه إلى إدراكها والوعي بها؛ فإن واجب العلماء التصدي لذلك بالبيان كي لا يفسد تدين المسلمين، وكي يكونوا على بصيرة من سلامة تدينهم وكونه على هدي الكتاب والسنة. فاستقامة تدين الناس في شعائرهم الدينية، وتحسن أحوال المعيشة في حياتهم اليومية بلزوم قيم وأخلاق الدين؛ فكل ذلك من مهام العلماء وواجباتهم في رسالة التبليغ والبيان، والإرشاد إلى الحق والصواب. ومن واجب العلماء هنا أن يخصصوا مواقع تواصلية لتحذير الناس من الأصناف الثلاثة وإظهار مخاطر كلامهم في الدين، حماية له ودفعا لكل تشويش ممكن على الأمة من هذا لقبيل.

3. دور التبليغ في تقوية الوازع

أ. الوازع القرآني والوازع السلطاني

ذلك أن الوازع ضربان: أحدهما **معنوي**، منبعث من ضمير الإنسان، وهو من أثر التقوى، أي محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ؛ يقود

(1) سبق تخريجه.

إلى الالتزام الطوعي بالآداب والأخلاق العامة، وبالقانون العام المنظم لأحوال الناس لأنه من المعروف الذي يعملون به؛ بحيث يكون اقتناعا تم تحصيله في النفس نتيجة إيمان واعتقاد راسخ. والثاني **مادي**، خارجي يلتزم الناس بمقتضاه باحترام تلك الآداب العامة والنظام العام، إذ به يستتب أمن الجماعة واستقرارها، وبه تُحصل الجماعة معاشها وتحقق نموها وازدهارها. ولقد درج العلماء قديما على تسمية الوازع الأول بوازع القرآن أي التقوى المحصلة من الدين، والوازع الثاني بوازع السلطان أي القانون والنظام.

فالوازع القرآني يَستمد من تأثير قول الله تعالى وقول نبيه ﷺ في نفوس الناس، وهو متوقف على الاستعداد الذي يغذيه الذكر والشكر، وتغذيه خشية الله ومحبته في القلوب، ومحبة الخير للناس والنفع لهم. فمن تحقق بشيء من ذلك كان عونا له على فعل الخير والصلاح، وهداية له إلى الاستقامة في كل شيء، وقد قال الله تعالى عن كتابه العزيز:

﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[سورة المائدة، الآية 18].

ولطالما أكد السادة الصوفية والأخلاقيون من العلماء أن تزكية النفس، وسلوك سبل الورع والمحاسبة، والتحرر من الشحّ والأهواء، هو المدخل الأساس لصلاح الأحوال وطيب المعيشة، والانقياد الطوعي

لتمثل قيم المحبة والتواد، والتعاون والتآزر بين الناس؛ وذلك ما تقرره الآية الكريمة الجامعة في باب التغيير،

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[**سورة الرعد، الآية 12**].

كما عبروا عن هذا الوازع باسم «**النفس اللوامة**» التي لا تفتأ تلوم صاحبها، فتحجزه عن فعل المنكرات والشرور، وترجعه إلى جادة الحق والصواب.

والوازع **السلطاني**، يستمد من قوة النظام والقانون، الذي يدخل تحت طائلته الجميع والذي إذا وافقت مقاصده المصالح فهو من صميم الشرع؛ وهذا من الجوانب التي ينبغي للعلماء أن يصلحوا فهم الناس فيها، لأن عددا من التيارات النازعة إلى الخروج عن النظام وإلى رفض القانون لا يزال فهمها ملتبسا بهذا الصدد، ومثلها الذين لا ينتهون عن فعل الشرّ والمنكر إلا خوفا من عقوبة الدنيا التي ينزلها الحاكم بهم.

وهذا الوازع ضروري للحياة في استتباب أمنها وحفظ نظامها وضمان عيشها؛ وإلا عمت الفوضى وكثر التنازع لاختلاف المصالح وتضاربها يقول العلامة ابن خلدون مقررا هذا المعنى: «إذا تم عمران العالم بهم [أي بالناس]، فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم؛ (...) فيكون ذلك الوازع

واحدا منهم، تكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان»[1]. ولقد اشتهر عن سيدنا عثمان ﷺ قوله: «إن الله يَزَع بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن»، فإن لم يسعف في ردع أناس قوة المعنى التي يمثلها القرآن، أسعف في ذلك قوة النظام التي يمثلها السلطان.

ثم إن الوازعين معاً، متكاملان في دلالتهما على حفظ مصالح الناس ودفع المفاسد عنهم، ومن ثم تكون طاعة الحاكم في حفظ النظام العام وفي التزام القوانين، أمرا مشمولا بالدين وبمقاصده الكلية؛ ذلك أن كل نظام أو قانون يخدم مقصدا من مقاصد الدين يأخذ شرعيته من الدين باعتباره وسيلة لتحقق ذلك المقصد؛ ومعروف أن الوسائل تأخذ حكم مقاصدها، فعند الإمام الشاطبي رحمه الله أن: «الواجبات والمندوبات ضربان: أحدهما مقاصد والثاني وسائل؛ وكذلك المكروهات والمحرمات ضربان: أحدهما مقاصد والثاني وسائل؛ وللوسائل أحكام المقاصد، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب بترتب المصالح والمفاسد»[2]. فالنظم والقوانين التي تحفظ الأنفس وتصونها، وتحفظ الأموال والعقول والأعراض، وتحقق العدالة بين الناس، وتوفر لهم

(1) **المقدمة**، ابن خلدون، ص. 43 (دار الفكر).

(2) **الموافقات**، الشاطبي، 46/1، (دار المعرفة).

السلم والطمأنينة، هي من مشمولات الدين في التشريع، ومن الوسائل التي ندب الدين إلى الاجتهاد في تحصيلها ما أمكن؛ تحققا بتلك المصالح وجلبا لمنافعها، ودرءاً للمفاسد والمضار التي يمكن أن تحف بها. ومن ثم، فلا معنى لنزعات الطعن على كل ما هو وضعي من النظم والقوانين التي تواضع الناس عليها لحفظ أنفسهم ومصالحهم؛ ولا لنزعات الميل والخروج عن طاعة أولي الأمر في ذلك تملصا من مقتضيات قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء، الآية 58].

فالدين قد فسح باب الاجتهاد في الوسائل والنظم التي تحقق مقاصده ومعانيه الكلية في الحياة، ولقد اطرد هذا الاجتهاد منذ عهد الصحابة إلى اليوم في النظم المستحدثة، بل والمستعارة من الملل والحضارات الأخرى كذلك.

وعلى هذا ينبغي فهم الأمر بـ «**الطاعة**»، في سياق التبليغ، على أنه التزام النظام والعمل بالقانون، واعتباره أمرا ذا أهمية قصوى ترجع إلى ضرورة استتباب الأمن لكي يقوم الدين؛ ولأن الدين ارتباط وثيق بين البعد الفردي والبعد الجماعي في التدين، كما يدل على ذلك وجوب أداء شعائر الدين الكبرى جماعة مع حفظ الطاعات الفردية فيه؛ فإن الفرد هنا محمول على أن يستجيب لله ورسوله إذا كانت جماعته في حياته تعينه على ذلك، وكان حكام بلده يسعون لمثل ذلك.

ب. التقوى وازع وحافز

ترد «التقوى في اللغة بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية؛ وعند أهل الحقيقة هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من ترك أو فعل»[1]. كما أن الاتقاء هو «افتعال من الوقاية، وهي فرط الصيانة وشدة الاحتراس من المكروه»[2]؛ ولهذا كان «المتقي في عرف الشرع، اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة (...)، وعن كل ما يُؤثم من فعل أو ترك، وعن كل ما يَشغل عن الحق (...)»؛ وهو التقي الحقيقي المشار إليه بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾

[سورة آل عمران، الآية 102]؛

وقيل: «التقوى في الطاعة يراد بها[ـا] الإخلاص، وفي المعصية يراد بها[ـا] الترك والحذر»؛ ومما قيل فيها أيضا إنها:

- «محافظة آداب الشريعة»؛
- «مجانبة كل ما يبعدك عن الله»؛
- «ترك حظوظ النفس ومباينة النهى»؛
- «أن لا ترى في نفسك شيئا سوى الله»؛
- «أن لا ترى نفسك خيرا من أحد».

(1) **التعريفات**، الجرجاني، مفردة (التقوى).

(2) **الكليات**، الكفوي، مفردة (الاتقاء).

وقيل في الوقاية أيضا: «حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره»[1]، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الإنسان 11]؛

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [سورة التحريم 6]؛

وفي الحديث: «**اتقوا النار ولو بشِقِّ تَمْرَة**»[2]، «**فمن اتقى الشُّبهات استَبْرأ لدينه وعرضه**»[3]. ونقل عن الحسن البصري قوله: «إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق»[4].

للتقوى إذن دور أساس ووظيفة كبرى، في تقويم سلوك الإنسان وتسديد تدينه عموما؛ وذلك حينما تجعله يجتنب المحرمات المهلكات، ويأتي الطاعات والقربات. ولهذا ارتبطت التقوى في معظم مواطن ورودها في القرآن الكريم بقيم وواجبات الدين الكبرى مثل: الإيمان، والصلاة، والصوم، والزكاة، والصدق، والخوف، والخشية، والصبر، والإحسان، والبر، والهدى، والتزكية، والاستقامة، الوفاء، الإنفاق،

(1) **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، مادة (وقى).

(2) **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب: «اتقوا النار ولو بشق ثمرة» والقليل من الصدقة؛ **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة.

(3) **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه؛ **صحيح مسلم**، كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(4) **حلية الأولياء**، أبو نعيم، 143/2، (دار الكتب العلمية).

والعفو ...؛ كما ارتبطت في سياق النهي والتحذير بآفات كبرى مثل: الفسق، والفجور، والفحشاء، والإثم، والفساد...؛ وقد اقتضت حكمة الله تعالى في تسويته للأنفس في سياق ابتلائها وتمحيصها، أن يلهمها الفجور والتقوى، وأن يربط الفلاح بأعمال التزكية، والخيبة بأعمال التدسية؛ في قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس، الآية 7-10]؛

واقترن ذكر التقوى كثيرا بالجزاء والحساب نتيجة الكسب الحسن أو الكسب السيء، كما يؤكده قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾

[سورة البقرة، الآية 122]،

﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية 280].

ويجعل القرآن التقوى أساسا للتفاضل بين الناس، ويلغي كل صور التمييز القائم على الأحساب والأنساب، أو الجنس والجاه واللون، أو غير ذلك مما اتخذه أغلب الناس اليوم مؤشرات على الرقي أو السعادة، حينما يقرر في أفق إنساني كلي:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية 13].

إن التقوى، في سياق خطة تسديد التبليغ، تقوم بدور الرقابة الأخلاقية الذاتية التي تقوي مناعة الإنسان ضد المغريات المختلفة؛ ولها، حين التشبع بها، دور حاسم في التقليل من الآفات وفي الإكثار من الخيرات؛ حيث ينبغي للخطة أن تنهض بهذه القيمة الوظيفية الكبرى طلبا للصلاح في الأنفس والإصلاح في الغير. ويكفي أن نذكر من أجمع وأجمل الآيات المقررة لصفات المتقين وجزائهم، قوله تعالى:

﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية 133-136].

4. تجاوز عوائق التبليغ

لقد أكمل الله تعالى دينه وأتم نعمته على الناس، وجاء القرآن الكريم مُحِلّا للطيبات كلها، ومُحرِّما للخبائث كلها؛ وقامت الشريعة كما نص

العلماء باستقرائهم لأحكامها، على جلب المنافع للناس ودفع المفاسد عنهم؛ والقصد من ذلك أن يَغلبَ الطيبُ الخبيثَ، وأن ترجَحَ المصالحُ المفاسدَ، وأن يعم المعروف لا المنكر في حياة الناس، لأنه لا يوجد خيرٌ مَحضٌ خالص في الدنيا، ولا شرٌّ محضٌ خالص فيها؛ وإنما تُناط الأحكام وتترتب بحسب الغالب والراجح من ذلك في سلوك الناس وأحوالهم.

يقول الإمام الشاطبي في نص بليغ: «إن هذه الدار وضعت على الامتزاج بين الطرفين، والاختلاط بين القبيلين [يقصد المصالح والمفاسد]؛ فمن رام استخلاص جهة فيها لم يقدر على ذلك، وبرهانه التجربة التامة من جميع الخلائق؛ وأصل ذلك الإخبار بوضعها على الابتلاء والاختبار والتمحيص، قال تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [سورة الأنبياء، الآية 35]،

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، الآية 2]،

(...) فإذا كان كذلك فالمصالح والمفاسد الراجعة إلى الدنيا إنما تفهم على مقتضى ما غلب. فإن كان الغالب جهة المصلحة فهي المصلحة المفهومة عرفا، وإن غلبت الجهة الأخرى فهي المفسدة المفهومة عرفا؛ ولذلك كان الفعل ذو الوجهين منسوباً إلى الجهة الراجحة، فإن رجحت المصلحة فمطلوب ويقال فيه إنه مصلحة، وإن غلبت جهة المفسدة فمهروب عنه ويقال إنه مفسدة على ما جرت به العادات في مثله (...).

ومن حيث تعلق الخطاب بها شرعا، فالمصلحة إذا كانت هي الغالبة عند مناظرتها مع المفسدة في حكم الاعتياد، فهي المقصودة شرعا ولتحصيلها وقع الطلب على العباد؛ (...) فإن تبعتها مفسدة أو مشقة، فليست بمقصودة في شرعية ذلك الفعل أو طلبه. وكذلك المفسدة إذا كانت هي الغالبة بالنظر إلى المصلحة في حكم الاعتياد، فرفعها هو المقصود شرعا، ولأجله وقع النهي (...)، فإن تبعتها مصلحة أو لذة فليست هي المقصودة بالنهي عن ذلك الفعل، بل المقصود ما غلب في المحل»[1].

وإذا كان الشاطبي هنا قد بنى هذه الموازنة بين المصالح والمفاسد على منهج يراعي «**ما غلب**»، فإننا نجد للإمام العز بن عبد السلام قبله تدقيقاً آخر، يبنيه في نفس الموازنة على منهج يراعي «**ما يظهر في الظنون**»، يقول: «الاعتماد في جلب مصالح الدارين ودرء مفاسدهما على ما يظهر في الظنون، وللدارين مصالح إذا فاتت فات أمرهما، ومفاسد إذا تحققت هلك أهلهما؛ وتحصيل معظم هذه المصالح بتعاطي أسبابها مظنون غير مقطوع به، فإن عمال الآخرة لا يقطعون بحسن الخاتمة وإنما يعملون بناء على حسن الظنون، وهم مع ذلك يخافون ألا يقبل منهم ما يعملون؛ وقد جاء التنزيل في ذلك في قوله:

﴿وَالذِينَ يُوتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ اَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [سورة المومنون، الآية **61**].

(1) **الموافقات**، الشاطبي، 27/2.

فكذلك أهل الدنيا إنما يتصرفون بناء على حسن الظنون؛ وإنما اعتمد عليها لأن الغالب صدقها عند قيام أسبابها، فإن التجار يسافرون على ظن أنهم يسلمون ويربحون، والصناع يخرجون من منازلهم على ظن أنهم سيعملون ما به يرتفقون، والأكارون يحرثون ويزرعون بناء على أنهم مستغلون (...)، والملوك يجندون الأجناد ويحصنون البلاد بناء على أنهم بذلك ينتصرون (...)، والمرضى يتداوون لعلهم يشفون ويبرؤون. ومعظم هذه الظنون صادق موافق غير مخالف ولا كاذب، فلا يجوز تعطيل هذه المصالح الغالبة الوقوع خوفا من نذور كذب الظنون ولا يفعل ذلك إلا الجاهلون»[1].

ولقد أدار الدين كل ذلك على دعامتين أساسيتين، بهما يتحقق وعد الله بالحياة الطيبة والتمكين والطمأنينة في الأرض:

الأولى، الإيمانُ بالله تعالى، والتحققُ بشعبه في تحرير النفس من هواها، وفي تزكيتها بالمحاسبة حتى تصير للشخص طبيعة ثانية.

الثانية، تفعيل ثمرة الإيمان التي هي العمل الصالح، والتحقق بثمرات العبادات بالاستقامة في سائر الأحوال.

وذلك لقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية 97]؛

(1) **قواعد الأحكام**، العز بن عبد السلام، 3/1، (دار الكتب العلمية).

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور، الآية 53].

لكن الناظر في أحوال عموم المسلمين اليوم، لا يجد هذا التحقق قائما فيهم، بقدر ما يجد اختلافهم ونزاعهم وسوء معيشتهم واضطراب أحوالهم أفرادا وأسرا وجماعات، ويجد شيوع كثير من مظاهر الانحراف والآفات الصحية والنفسية والسلوكية وغيرها؛ أي معظم ما يُنافي مراد الدين في هديه وإرشاده، وسعيه إلى جعل حياة الناس حياة طيبة. وهذه مفارقة تستدعي التوقف للتأمل والنظر لتفسيرها وعلاجها، ومن ثم مساءلة العلماء لمناهج اشتغالهم، وإعادة توجيهها لما ينفع الناس ويقيم شروط الحياة الطيبة في معيشهم اليومي أفرادا وجماعات.

فتلكم مؤشراتٌ كبرى على اختلالاتٍ كامنةٍ في منهج التبليغ وفي المبلِّغين وفي المبلَّغين على حد سواء، وجب الوعي بها والاشتغال على رفعها. ولهذا جاءت خطة تسديد التبليغ، للنظر في هذه الاختلالات وزحزحتها عن مكانها، حتى يصح الإيمان بالتخلي عن عبادة الهوى ويثمر العمل الصالح من جديد، وحتى توصل العبادات بثمراتها في

حياة الناس من جديد؛ وذلك تسديدا للفهوم القاصرة عن إدراك المعاني، وتجنبا للتأويلات البعيدة المتفلتة من تلك المعاني، وتقويما للأعمال نحو الخير والصلاح بعيدا عن مواطن الشر والفساد.

- يحتاج هذا الأمر في **المُبَلِّغ** إلى نية وإخلاص، وإلى فهم واستيعاب للمطلوب، وإلى جد واجتهاد في العمل؛
- ويحتاج في **المُبَلَّغ** إلى معرفة ظروفه وأحواله والشبه والانحرافات الطارئة عليه، والعلل والظروف الحالَّة به تشخيصا ومعالجة؛
- ويحتاج في **منهج التبليغ** إلى حسن تَمَثُّل أساليبِه في البيان والحكمة والوعظ الحسن والتذكير واللين والتدرج، وإلى مراعاة المراتب والأحوال والسياقات وغير ذلك.

ثم إن التبليغ الذي هو أمانة منوطة بالعلماء وبمن في حكمهم من القيمين الدينيين، فيه جوانب عملية ينبغي استحضارها، نذكر منها الآتي:

أولا: القيام بالتبليغ في جو من القرب والمشاعر الروحية، بين العالم والإمام المرشد والمرشدة من جهة، وبين المقصودين من الرجال والنساء بالتبليغ من جهة أخرى؛

ثانيا: متابعة التبليغ القولي بشروطه الملائمة، بحيث لا يبقى التبليغ مقتصرا على خطبة أو موعظة يلقيها المبلغ وينصرف دون اهتمام بالوقع والأثر في النفوس؛

ثالثا: التزام وحدة الموضوع وهيكلته ومراعاة الأولويات في الدين أحكاما وأخلاقا، وذلك بهدف إعانة المتلقي على التغيير والإصلاح، وحتى يهتدي بنفسه إلى مراد الله به، وأن هذا المراد هو إحسان الإنسان لنفسه؛ فإذا آمن بذلك فلا يستثقل العبادة ولا يحصرها في الفرائض، بل يجعلها تعم كل عمل صالح يمكن أن يقوم به في الحياة؛

رابعا: تبسيط الكلام في الدين حتى يكون الفهم في متناول الجميع مع تعمد التكرار حتى تتقرر المعلومات في الأذهان؛

خامسا: الحديث إلى الناس في أحوالهم الحاضرة بلغتهم المعهودة وبالمصطلح الذي يفهمونه، وذلك بقصد إسعافهم على معالجة مشاكلهم؛

سادسا: تغليب أسلوب الترغيب والتحبيب والتيسير، امتثالا لقوله ﷺ: «**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[1]؛

سابعا: التدرج مع الناس في إصلاح أفكارهم وأحوالهم وحسن الإنصات إليهم؛

ثامنا: التركيز في الحديث إلى الناس على النقطة الأساسية، وهي أن التدين الصحيح المبني على الإخلاص في الإيمان وعلى

(1) **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا.

الصلاح في الأعمال، هو الذي يؤتي ثمرته التي هي الحياة الطيبة سعادة في الدنيا وفلاحا في الآخرة.

وكل هذا ينبغي أن يكون محل مُدارسة وتَفهيم، ومُتابعة وتَقويم، بين فريق العمل الذي سيناط به تنفيذ هذا الأمر، لخلق حالة الانسجام والتعاون الضروري للعمل. ففي الواقع الحالي للتبليغ نجد الخطيب يخطب وينصرف، والواعظ يعظ وينصرف، دون أن يُتْبَعَ ذلك بتقويم أو قياس لمدى التأثير في الناس؛ أو اعتماد مؤشرات سلوكية أو معيشية على تحسن أحوال الأفراد أو الأسر أو الجماعات؛ وهذا الوضع هو ما جاءت خطةُ تسديد التبليغ لاستدراك مكامن الخلل فيه، باعتمادها مؤشراتٍ تقيس بها تَحَسُّنَ أحوال الناس من خلال قيم الدين وأخلاقه السمحة.

فالتغيير منهج منضبط لنظام من السنن جعلها الله تعالى في عالم الإنسان، تماما كما جعلها في عالم الطبيعة؛ وكما أن إغفالها أو مخالفتها في العالم الطبيعي تترتب عليه مفاسد خطِرة، كتلك التي نراها في التغيرات المناخية والتلوث البيئي؛ فإن مخالفتها في العالم الإنساني تترتب عليه كذلك آفات لا تقل خطورة، نراها في الحروب والنزاعات وفي الانحرافات المختلفة. ولهذا وجب اعتبار هذا المعطى الدقيق في نظام السنن وانتظامها وفي التقدير الرباني لكل شيء، ففي **التقدير** آيات كثيرات منها قول الله تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر، الآية 49]،

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [سورة الرعد، الآية 9]؛

وفي السنن آيات كثيرات، تقرر من مداخل مختلفة، معنى قوله تعالى:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 38]،

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر، الآية 43 - 44].

ولا يخفى أن جهودا إصلاحيةً وتغييريةً كثيرة، قامت في الأمة عبر القرون، كلها رفعت شعار التغيير باسم الدين؛ لكن رغم ما بُذل فيها من جهود، بقيت أحوال الأمة وحياة الناس على حالها، مما حدا ببعض المصلحين إلى التساؤل عن: «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم»؟ وعن: «وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»؟

وبالرغم مما قُدم من إجابات في تشخيص هذا الواقع، يبقى التساؤل قائما: لماذا لم تثمر تلك المقاربات و لم تحقق إصلاحا ينهض بالأمة؟ ومما قيل في تبرير ذلك القصور:

- إن معظم تلك المشاريع الإصلاحية غلب عليها النظر أكثر من العمل، و لم تتح لها فرصة الممارسة ولا التحقق الواقعي؛
- إنها كانت نخبوية لم تستوعب مقتضيات التنزيل على النفوس في الأمة والمجتمع؛

- إن اشتغالها كان جزئيا يركز على جانب أو مدخل من التغيير وأهمل مداخل أخرى؛
- إنها كانت ذات طبيعة منازعة ومنافسة تريد إحلال شرعية محل أخرى؛
- إنها كانت مثالية تستشهد نظريا بتجارب الماضي دون وعي بحركة التاريخ، أو قدرة على استلهام المعنى من ذلك الماضي؛
- إنها انحرفت في كثير من الأحيان عن مسارها الإصلاحي، واختطفها التنافس السياسي على السلطة؛
- إنها أخطأت طريق ومنهج تشخيص الأزمة الممثلة في غياب إصلاح النفوس إصلاح الفكر قبل الممارسة؛
- إنها أرادت أن تغير بالطفرة لا بالتدرج والمرحلية؛
- إنها، أو بعضها، مستلب للغرب ومتأثر به وبنماذجه؛
- إنها لم تعط لتزكية النفس والبناء السلوكي والأخلاقي الحيز المناسب لها في التغيير، أي أن هنالك شبه غياب للاستثمار في قيم وأخلاق الدين من أجل تجويد الحياة؛
- إن مشاريع الإصلاح الأوفر نجاحا وتأثيرا، على العموم، هي التي تمتلك **مشروعا** ينفي عنها صفة الارتجال، وتمتلك **شرعية** تنفي عنها صفة المنازعة، وتمتلك **سندا** من الأمة ينفي عنها صفة النخبوية والانعزال.

ومما قدمته أوراق تسديد التبليغ، من التوجيه إلى استدراك بعض هذه الاختلالات، ما يلي[1]:

- «عدمُ البداية من حيث ينبغي، أي تحرير النفس من الأنانية بالتوحيد»؛ والصحيح هو البدء بتغيير النفس، لقول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد، الآية 12]؛

- «عدم الربط بين العبادات وثمراتها في السلوك والأخلاق»؛ أي أثر الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الطاعات، على سلوك الإنسان إثمارا للاستقامة والرشد فيه؛

- «عدم التمييز بين كليات الدين وجزئياته»؛ وذلك باعتبار أن الدين مبني على أركان وأصول وكليات، ينبغي تحصيلها وإقامتها أولا؛ ثم فروع وجزئيات مكملة ومتممة، حيث لا يجوز الخلط بينها وإهمال المرتبة المقررة فيها؛

- «عدم الوعي بالمنافع الدنيوية للتدين السليم»؛ أي اعتقاد أنه لا أثر للتدين في تطييب الحياة الدنيا وإسعاد الناس فيها، وأنه فقط لتحصيل ثواب الآخرة؛

(1) **الكلام** للسيد معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في كلمته التوجيهية المؤطرة للقاءات الجهوية للمجالس العلمية لتوضيح معالم خطة التبليغ.

- «عدم الوعي بما نَبَّه إليه الدين من أثر الفرد على الجماعة، وأثر الجماعة على الفرد»؛ أي الوعي بتكامل المنافع دنيوية وأخروية بين الفرد والجماعة؛

ولا شك أن العمل من منظور مستوعب لمجموع هذه الاقتراحات، بالإضافة إلى التقويم الذي تتيحه الممارسة الميدانية، سيسهم لا محالة في جعل هذه الخطة، إن شاء الله تعالى، أكثر تسديدا ونجاعة ومردودية.

5. التبليغ في النموذج المغربي

إن خطة تسديد التبليغ في نموذج التدين المغربي تأتي في سياق مختلف عما تقدم، تطمح إلى تجاوز كثير من تلك الاختلالات المذكورة، وإلى التحرر من الارتهان إلى بعض قيودها وعوائقها. تأتي في سياق خصوصيات تميز التدين في السياق المغربي وفق شروط عملٍ مساعدة وفُرصٍ سانحة، هي من التيسير الرباني واللطف الإلهي بهذا البلد الذي غدا مُلهما لغيره في كثير من الإصلاحات. ومن تلك الخصوصيات نذكر ما يلي:

- إمارة المؤمنين الحامية للملة والدين، والحاسمة لسؤال الشرعية والتنافس أو التنازع السياسي باسم الدين؛
- مشيخة العلم المتوارثة، التي أنيط بها شأن الدين والقول فيه،

حسما للفتنة والخلاف المفرق للجماعة؛ وخاصة الهيأة المكلفة بالإفتاء في الشأن العام؛

- وحدة الاختيارات المذهبية، ورسوخها في حفظ أمن البلد واستقراره؛
- المؤسسةَ العلمية التي أنيط بها تدبير الشأن الديني على المستوى المحلي، وبالقرب المباشر من المواطنين وأحوالهم؛ بما ينفي عن التبليغ آفات التوجيه عن بعد، وآفات التجريد غير الملتصقة بالواقع؛
- حياة سياسية واجتماعية آمنة ومستقرة، بتضافر وازعي القرآن والسلطان، في الوجود المادي المنسجم وفي الأمن الروحي الموحد، اللذين ترعاهما الإمامة العظمى؛
- مؤسسات علمية تكوينية للقيمين الدينيين، يتخرجون منها على قدر من النباهة والحضور بين الناس، وعلى معرفة بفنون التواصل وآداب المخالطة والإقناع.

فكل هذه العناصر، وغيرها، موجبة للاشتغال في سياق كله دعمٌ ومساندة؛ حيث تتضاعف مسؤوليةُ العلماء والقيمين الدينيين من العلماء والمرشدين والمرشدات والخطباء والوعاظ والواعظات وغيرهم؛ فأمام هذه العوامل الإيجابية ينبغي ألا تضيع هذه الفرصة، وهي نفحةٌ من نفحات الدهر، دون إحراز إصلاح أو تغيير معتبر. كما أن هذه

الشروط المتوفرة في السياق المغربي، يمكن أن يساعد استثمارها على إظهار نموذج جديد من الحياة ينعم به المتدين وغير المتدين؛ ولا حصر للآثار الإيجابية المتوقعة منها على صعيدي النظر والعمل، كما أن نجاحها نجاح للناس ولنموذج قابل لتعميم في الأمة كلها. فهي فرصة سانحة، ولذلك فإن تضييعها دون تحقيق الحياة المطلوبة، أمر ينطوي على مسؤولية كبرى أمام الله وأمام الناس.

3. المقاصد

1. التبليغ، مقاصد وغايات شرعية

تفاعلا مع هذا التشخيص، أرست المؤسسة العلمية أسس مشروع تسديد التبليغ لبناء الحياة الطيبة من أجل إعادة ثقة الناس في نجاعة الدين في الحياة المعاصرة، وتقوية يقينهم في إثمار إيمانهم وشعائرهم لمقومات هذه الحياة، باعتبارها وعدَ الله تعالى الذي لا يتخلف وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة وتنوعت السياقات والأحوال، مصداقا لقوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل، الآية 97].

ومن هذا المنطلق فإن المؤسسة العلمية تبنت نهجا جديدا في النهوض بواجبها، تحيي من خلاله المقاصد الأصيلة للتبليغ عن رسول الله ﷺ؛ والتي تتجلى أساسا في غاية خلق الإنسان وهي تحقيق العبودية

لله، بأن ينسجم فعل المؤمنين وسلوكهم ورغباتهم مع معتقدهم؛ وذلك من خلال تجلي أنوار الإيمان وثمرات العبادات في سلوكهم ومعيشهم اليومي. ومن مقتضيات هذا النهج تركيز عمل المؤسسة العلمية وكافة المنتسبين إليها، من العلماء والأئمة والوعاظ والواعظات والخطباء والمرشدين والمرشدات...، على غاية واحدة ووحيدة، وهي تقليص الهوة بين تدين الناس وبين ما يقتضيه الدين من ورع وصلاح في حياتهم الفردية والجماعية...؛ ولهذا ينبغي أن يكون تبليغ المجالس العلمية المحلية:

- قاصداً في الأهداف؛
- ومقصوداً في النية؛
- ومقتصداً في الجهد.

وبالتالي فإن جميع أعمال المؤسسة العلمية الجهوية والمحلية، يجب أن تدور حول هذه الغاية المحددة، وأن تشتغل وفق هذا المنهج الواضح، ومن ثَم فإن قياس جدوى وفعالية أي عمل من أعمالها، يكون على أساس ما يحققه من آثار في حياة الناس وسلوكهم، وما يحدثه من تغييرات في محيطهم. إن التبليغ بهذا المعنى لا تكون له حقيقة إلا إذا انصب على واقع الناس ومحيطهم، تشخيصا وتخطيطا وتنزيلا. ولا يكون للدين ولا لعمل العلماء اعتبار عند الناس إلا بقدر ما ينفعهم في دنياهم ويضمن لهم الفلاح في أخراهم.

فمن أجل تحقيق مقاصد وغايات مشروع التبليغ، لابد من النزول إلى الميدان لتنزيل هذا المشروع وإجراء الإصلاح المطلوب، ومن أجل ذلك يتوجب على المبلِّغين أن يوضحوا للمبلَّغين أنه يمكن لكل مسلم ومسلمة، أن يغير حياته بالاتباع العملي لتعاليم الإسلام وقيمه، حتى يكون الإسلام نافعا لهم في حياتهم الدنيوية، ومنجيا لهم في حياتهم الأخروية. ومن أجل ذلك حددت المؤسسة العلمية لمشروع التبليغ مقاصد وموجهات واضحة، يدور حولها الخطاب الديني وتدور حولها مضامين التبليغ، نذكر من أهمها:

- التخلص من شح النفس وتحريرها من الهوى أو الأنانية، وذلك بتوحيد الله وذكره؛
- محاسبة النفس، في باب الحرص على عمل المعروف واجتناب المنكر، ويتحقق جانب كبير منه بالحرص على تطبيق القانون؛
- الحرص على إيتاء الزكاة والإنفاق على المحتاجين، لاسيما في الجماعة المباشرة، والأقربين من الناس؛
- الحرص على أكل الحلال، بالإخلاص في الأعمال المأجورة وعدم الغش في المعاملات والوظائف والمهن؛
- الحرص على أداء حقوق النفس، لاسيما بتجنب الفواحش والتهلكات المختلفة؛

- الحرص على أداء حقوق الأهل، لاسيما بالبر بالوالدين وبالمحبة بين الأزواج وبحسن تربية الأولاد؛
- الحرص على أداء حقوق الجماعة، ابتداء من الجيران ووصولا إلى الوطن وذلك بالمواساة والتضامن؛
- الحرص على أداء حقوق الجماعة، وذلك بأداء الشهادة بالحق وبالنصيحة وبالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ويتوافق جانب كبير منه مع مسؤولية المواطنة السياسية».

ويمكن إجمال هذه المقاصد على العموم في الآتي:

- تجديد الإيمان على أساس التوحيد؛
- إظهار ثمرات العبادة في السلوك؛
- إرساء أسس الحياة الطيبة ومقوماتها في واقع الناس.

2. التبليغ، مقاصد وأهداف تنظيمية

يتعلق الأمر هنا بتجديد منهجية الاشتغال، التي ينبغي أن تكون مواكبة لتجديد التصور والرؤية للعمل؛ ذلك أنه ما لم يقع تجديد على هذا المستوى، تبقى قيم الدين بمقاصدها وقدراتها الهائلة على الإصلاح والتغيير موقوفة ومعطلة، ما لم تلق استجابة وتفاعلا من المكلفين الحاملين لها. ولتجنب هذا الخلل بالذات نجد الإسلام، حريصا أشد الحرص ومؤكدا أشد التوكيد، على الجمع بين:

- عالم الغيب مصدر الهداية والتسديد، وعالم الشهادة مجال التحقق والحياة؛
- الدار الآخرة، دار الجزاء والحساب؛ والدار الدنيا، دار العمل والعطاء؛
- الإيمان وازعا وحافزا على الفعل، والعمل تحقيقا لذلك الفعل وتحققا به؛
- العبادات والطاعات وسائر القربات، وثمراتها المنعكسة على تزكية النفس وتهذيب السلوك؛
- القيم والمثل والمبادئ العليا المرجعية في الدين، والجهد النسبي المبذول للتخلق بها في الواقع؛
- تغذية مطالب الروح والعقل والجسد، وذلك بالتوازن والاعتدال المطلوب من غير إفراط أو تفريط في أحدها على حساب الآخر.

ففي الوقت الذي نجد فيه نظما وفلسفات كثيرة تنحو إلى الفصل بين هذه المكونات، بل وإلى إقامة صور من التعارض والتقابل وادعاء الخصومة بينها، حيث تَحَول معظم ذلك إلى نزعات من الغُلُوّ والتطرّف، في الفكر أو في السلوك أو فيهما معا؛ نجد المنهج الإسلامي على مستوى النظر ينتظمها في أنساق متكاملة، حيث تؤدي وظائف يكمل بعضها بعضا؛ من جهة الغايات والمعاني والمقاصد الملهمة، ومن جهة الأعمال المنجزة تحقيقا لها وتحققا بها على أرض الواقع.

وبناء على ذلك تنبني هذه الخطة على مقتضى التزامات عملية تنهض بها المؤسسة العلمية، وتتجلى في أمور منها:

- **تطوير مناهج الاشتغال**، من خلال تبني العمل المنظم والمعقلن، المعتمد على التخطيط الجيد والتنفيذ الفعال، والعمل بالنتائج من خلال قياس آثار تدخلات المؤسسة العلمية في محلها؛
- **ربط عمل المجالس العلمية المحلية بحياة الناس**، وبواقعهم الاجتماعي والاقتصادي والتربوي...، من خلال استهداف السلوك ونمط الحياة بدرء المفاسد عنها، بالعمل على خفض نسب الطلاق والرشوة والانحلال والمخدرات والغش والخيانة... وغيرها؛ وبجلب المنافع لها، بالتشجيع على الزواج ونشر قيم العدل والتضامن والوفاء والمحبة والمودة وغيرها...؛
- **تعزيز نجاعة تدخلات العلماء والقيمين الدينيين**، من خلال تطوير أساليب الاشتغال في الخطابة والوعظ والإرشاد الديني، وفي الإعلام السمعي والبصري ووسائل التواصل الاجتماعي؛
- **تقويم مردودية المجالس**، بقياس أثر تدخلات العاملين بها في حياة الناس انطلاقا من الأهداف والمؤشرات الاجتماعية المرصودة.

3. التبليغ ومقصد تحصيل السعادة في الحياة

إن الغاية من التبليغ هي تسديد التدين، وغايةُ تسديدِ التدين هي ربط العبادات بالثمرات، وغايةُ ربط العبادة بالثمرات هي تجنب

الإسراف على النفس وتجنب التبذير، أي «التقليل من العنت النفسي ومن التكاليف المادية على الفرد وعلى الجماعة وعلى الدولة». وجعل الغاية أيضا في ضرورة: «إعادةِ ثقة الناس في نجاعة الدين في الحياة المعاصرة، وتقويةِ يقينهم في إثمار إيمانهم وشعائرهم لمقومات الحياة الطيبة، باعتبارها وعدَ الله تعالى الذي لا يتخلف، وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة وتنوعت السياقات والأحوال»، مصداقا لقوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية 97]».

من الأنظار التي ينبغي على العلماء إصلاحها، اعتقاد كثير من الناس أن التدين إنما هو لتحصيل سعادةِ الآخرة فقط، ويفوتهم أنه لتحصيل السعادة في الدنيا قبل الآخرة، وقد تقدم أن ذكرنا قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْاَخِرَةَ وَسَعىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُومِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ [سورة الإسراء، الآية 19]؛

أي السعي الدنيوي الذي يترتب عليه الجزاء الأخروي. بل واعتُبر من لم يبصرْ آيات الله في الدنيا ويهتدِ بها، تجنبا للضلال والخسران، أعمى في الدنيا والآخرة معا؛ لقول الله تعالى:

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [سورة الإسراء، الآية 72].

وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [سورة طه، الآية 123 –124].

وما أكثر الغفلة والإعراض اليوم من الناس عن آيات الله تعالى، حتى إن القرآن الكريم نبّه على هذه الآفة وحذر منها، وذمّ سلوك أصحابها في قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية 105].

ولهذا كانت الشريعةُ قائمةً على رعاية مصالح العباد في المعاش والمعاد معا، بجلب المنافع والخيور إليهم، ودفع المفاسد والشرور عنهم. ثم إن الإسلام يُقيم توازنا واعتدالا، لا نظير له، في تحصيل السعادتين: الدنيوية والأخروية؛ بما يدرأ عنهما آفاتِ التشدد، ونزعات الغُلُوّ، بالاستغراق الكلي في عالم الروحانيات، أو الاستغراق الكلي في عالم الماديات، وجعلهما على طرَفَيْ نقيض؛ حيث يُقدم لنا الإسلام نموذجا

راقيا في التكامل بينهما، إمدادا من عالم الغيب واستمدادا من عالم الشهادة، في جدل تقويمي مستمر، من أجل الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة؛ كما تُقرِّر ذلك آيات كثيرات، منها قوله تعالى:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْاَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة، الآية 199]؛

﴿وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتِيكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْاَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة القصص، الآية 77]؛

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الأعراف، الآية 30]؛

وفي حديث سلمان ﷺ، الذي أقره النبي ﷺ: «**إن لربكَ عليكَ حقا، ولنفسِكَ عليكَ حقا، ولأهلِكَ عليكَ حقا، فأعطِ كلَّ ذي حق حقَّه**» [1].

(1) **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع.

4. المحاور

1. المحاور المستهدفة بخطة التبليغ

يمكننا تعريف خطة تسديد التبليغ، على أنها استثمار في زرع قيم الدين وأخلاقه، والعمل على التمكين لمضامين تلك القيم والأخلاق في قطاعات الحياة المختلفة؛ تقويما للاختلالات الموجودة فيها وتصويبا لها، وإرشادا إلى الهدى والاستقامة الجالبين للنفع الدنيوي وللفلاح الأخروي. فرسالة الأديان الأولى لم تكن إلا العمل على تخليق الإنسان، وحمله على الفضائل والمكارم، ورسالة الإسلام بحكم خاتميتها هي أكمل الرسالات وأتمها في هذا الباب؛ وذلك من جهة استيعابها وشمولها، ومن جهة كمالها وتمامها، ومن جهة نسقيتها وتكاملها، ومن جهة وظيفيتها وإجرائيتها، ومن جهة اليسر ورفع الحرج فيها...؛ ومن كل جهة تتحقق بها مصالح الناس ومنافعهم الدنيوية والأخروية، وتدرأ عنهم المفاسد والمضار الدنيوية والأخروية كذلك.

ففي قول الله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِيناً ﴾ [سورة المائدة، الآية 4]،

لا يتعلق الأمر بكمال أحكام التشريع فقط، بل بكمال النظم المقررة في الدين كلها؛ تشريعية تعبدية، وتربوية أخلاقية، ومعرفية علمية، وسننية اجتماعية، وبرهانية استدلالية، وقيمية إنسانية مشتركة، وغيرها من النظم والمعارف والقيم المقررة في الدين، والخادمة للإنسان في وجوه وجوده وحياته المختلفة.

ثم إن القرآن الكريم ما أثنى على الرسل والأنبياء بشيء أفضل من كمال الخلق الذي كانوا عليه: تقوى، وإخلاصا، وشكرا، وإنابة، وصبرا، وحلما، وعلما، وصلاحا، وبرا، وصدقا، وهدى، ورأفة، ورحمة، وإحسانا...؛ كما وردت بذلك الآيات. وقد يُجمل القرآن الثناء عليهم أحيانا، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية 89].

وتقدم ثناؤه تعالى على رسولنا الكريم بقوله:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية 4]؛

وقول رسولنا الكريم عن نفسه وعن رسالته: «**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حسن الْأَخْلَاقِ**»[1]. ومن المحاور الأساسية المقصودة بالاشتغال، عموما، في خطة تسديد التبليغ نذكر الآتي:

أ. العبادات والتدين العام

القصد من هذا المجال التعرف على مشكلات الالتزام بأركان الدين لدى الناس، ومعالجة عوائق الاستجابة بالحكمة وبالتي هي أحسن من خلال الوسائل المقررة أدناه، تبصيرا بركنيتها ووجوبها، وبعظيم أجرها وثوابها عند الله تعالى، وبكبير نفعها وأثرها العملي والواقعي في حياة الناس ومعاشهم. ويتعلق الأمر:

- **بالتوحيد** القائم على الشهادتين تنزيها وتمجيدا وتعلقا يفضي إلى التحرر من عبادة الهوى ومن الأنانية؛
- و**بالصلاة** شكلا ومضمونا واستحضارا للالتزام أمام الله تعالى باتباع ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه؛
- و**بالزكاة** بطيب نفس تحققا بوصف الجود والتضامن، وتزكية للنفس من داء الشح، وعلاجا للخصاصة والحاجة عند المحتاجين؛
- و**بالصيام** المثمر لرقابة الله تعالى والإحسان إلى خلقه، وتجنب الإسراف فيما لا لزوم له من اللذات؛

(1) سبق تخريجه.

- و**بالحج** المذكر بحقيقة التلبية التي يعجُّ بها الحاج، المطهر من الذنوب والآثام والمثمر لحقيقة التعارف والتعاون على البر والتقوى؛
- و**بأخلاق الإسلام وآدابه** عموما في معاملات الناس وعلاقاتهم المالية والتجارية والاجتماعية والأسرية...، وغيرها؛ ولاسيما فيما يتعلق بتجنب الغش والخيانة وبالحرص على الوفاء بالعقود والعهود.

ويجدر هنا العمل على معرفة نسبة التدين، التزاما عمليا بتلك الأركان ومدى التحقق بثمراتها، لدى ساكنة الحي أو القرية مجالي تنزيل الخطة، ومساعدتهم على الفهم السليم للدين وحسن التدين، بما يشجعهم على المبادرة والفهم المعتدل، ويبعدهم عن مظاهر الإفراط أو التفريط، وخصوصا فئة الشباب.

ب. التضامن والتكافل الاجتماعي

القصد من هذا المحور النظر في الأحوال المعيشية للساكنة في إطار دائرة الحي أو القرية، ورصد واقع ونسبة الاحتياج لدى الناس، ومحاولة سد كفافهم من خلال أوجه الإنفاق والتضامن الممكنة داخل هذه الدائرة. وذلك بالاستعانة بما يلي:

- رصد نسبة الفقر والاحتياج في دائرة المسجد؛
- رصد الأسباب المتمثلة في البطالة وانعدام العمل، أو العزوف عنه، أو علل أخرى؛

- رصد نسبة الشباب العاطل وأسباب ذلك؛
- النظر في فرص التقليل من الفقر والحاجة، وذلك من خلال استثمار الزكاة والإنفاق التطوعي، والإحسان العام.

ج. الأسرة والتربية

القصد من هذا المحور مراعاة القضايا المختلفة المتعلقة بالأسرة، بين الأزواج ومع الأبناء، على مستوى المعاشرة بالمعروف وعلى مستوى تربية الأبناء على تحمل المسؤولية؛ فللأسرة قيمة محورية في احتضان وتكوين الناشئة، وفي كونها لبنة التأسيس الأولى للجماعة والمجتمع. ومن القضايا ذات الصلة التي يجدر مراعاتها والاهتمام بها هنا:

- الحرص على سلامة العلاقة داخل الأسرة وعلى حسن تربية الأبناء؛
- التدخل هنا لإصلاح ذات البين في حالات النزاع والخصومة، أو التوجيه والإرشاد في حالات شرود واضطراب بعض الأبناء؛
- رصد مستوى الإقبال على الزواج، والترغيب فيه متى تيسرت أموره، والتقليل من نسبة كلفته؛
- الرفع من مستوى الوعي بالتربية الجنسية السليمة في اتفاقها مع المبادئ الدينية والضوابط الأخلاقية، وفي مراعاتها لسن ورشد التكوين؛

- رصد حالات المشاكل الزوجية، مثل العنف ضد المرأة، ونسب الطلاق. ومعالجتها بالطرق الحكيمة التي تحافظ على شمل الأسرة واستقرار الأبناء فيها؛
- تمتين العلاقات الزوجية ببيان مقاصد الزواج في الإسلام، والحقوق المتبادلة بين الأزواج وبين الآباء والأبناء لبناء نسيج أسري سليم؛
- التحسيس بآثار الطلاق ومخاطره على الأولاد خاصة وعلى المجتمع عامة؛
- مراعاة حقوق الجار بحفظ سلامته وطمأنينته، وبحسن معاملته؛
- التشجيع على التوادّ والتراحم بين أفراد الأسرة الواحدة والأسر الكثيرة، وعلى صلة الأرحام فيما بينها.

د. التعلم ومحو الأمية

القصد من هذا المحور العمل على الرفع من وتيرة التعلم، الذي به تُدرأ كثير من آفات الجهل، والشُّبه التي يشوش بها البعض على تدين الناس؛ وكذا الرفع من وتيرة محو الأمية التي انخرطت فيها كثير من المؤسسات. والسعي إلى بناء القرية القارئة أو الحي القارئ، الذي يسوده مستوى من الوعي والمعرفة يسعفانه في التعرف على حقائق الدين والدنيا. ومما ينبغي مراعاته هنا:

- رصد مستويات الأمية ونسبة التعلم لدى ساكنة الحي أو القرية رجالا ونساء وأطفالا، وكذا أعداد المتعلمين ومؤهلاتهم؛
- رصد نسبة الهدر المدرسي والنظر في أسبابه واقتراح الحلول الممكنة لها؛
- إقناع أولياء الأمور بمواصلة دعم أبنائهم ومساعدتهم على التمدرس ولاسيما الفتيات؛ والبحث عن مساعدات عينية لأولياء التلاميذ المعوزين.

هـ. مراقبة الصحة والتغذية والمحيط البيئي

والغرض من هذا المحور هو العناية بالصحة النفسية والبدنية التي عليها مدار التدين والمعاش معا، وقد رتب العلماء حفظ النفس من ضرورات الدين وكلياته؛ وهذا لا يتأتى إلا بالمراقبة الدائمة للصحة وما تقوم عليه من تغذية متوازنة، وبيئة نظيفة. ومما ينبغي مراعاته هنا:

- تتبع المشكلات الصحية للذين يعانون منها (أمراض مزمنة، إعاقات، أحوال ذوي الاحتياجات الخاصة...) وتقديم الدعم والتوجيه اللازم لها، وخلق حالات تضامن وعناية داخلية إذا توفر في الحي أو القرية أطباء أو ممرضون؛
- صيانة بيئة دائرة الحي، والرفع من مستوى تفعيل إجراءات النظافة في المحيط، والوقاية من الأمراض وانتشار العدوى بين الناس؛

- التشجيع على ممارسة الرياضات المختلفة للكبار والصغار، وتنظيم المسابقات التحفيزية في ذلك.

و. الوقاية من الإدمان وسائر الانحرافات

القصد من هذا المحور وقاية دائرة القرية أو الحي وشبابه بالخصوص، من آفات الإدمان على المخدرات ومن بعض الانحرافات أو السلوكيات غير السوية، التي يمكن أن يتلبس بها بعض الناس. من خلال بيان مخاطرها المتعددة على الصحة والأسرة والجماعة. ويتعين هنا مراعاة ما يلي:

- رصد مجموع الانحرافات وأشكال الإدمان المسجلة في دائرة الحي أو القرية؛
- الفئة العمرية الواقعة في الانحراف أو الإدمان من الكبار والشباب والأطفال؛
- دور الإمام والمرشد والخطيب والواعظ في التحذير من الوقوع في الانحرافات المجتمعية، والتماس كل السبل المتاحة لمعالجتها بالتعاون بين أفراد الجماعة، وبالتنسيق مع المؤسسات ذات الصلة.

2. الموضوعات المبرمجة، في التنزيل الأولي لخطة تسديد التبليغ

وهذه بعض المجالات المقصودة بالعمل أولا، وهي مرتبة حسب

منهج التغيير المقترح في ضرورة بناء اليقين وتحصيله في الأنفس أولا، إذ عنه يصدر العمل وبه يتوجه السلوك؛ وذلك من مدخل الإيمان في علاقته بتزكية النفس وسلامتها؛ ومن مدخل العبادات والطاعات في علاقتها بتحسين السلوك وتجنيب المحرمات؛ ومن مدخل المعاملات في علاقتها برعاية للحقوق وأداء الواجبات؛ ومن مدخل التخليق العام تعرفا على مشكلات الناس في حياتهم وإسهاما في حلها؛ ومقياس نجاعة التبليغ هنا هو ظهور أثر التغيير فيها.

1. الإيمان وثمراته:

- تفقيه الناس في الإيمان وأبعاده ودوره في تحريرهم من اتباع الهوى؛
- الإيمان ومحاسبة النفس؛
- الإيمان والصحة النفسية؛
- الإيمان وصلاح المجتمع؛
- الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛
- الإيمان ورعاية الحقوق.

2. تزكية النفس وثمراتها:

- في تمكين المؤمن من اكتساب الوقاية من الشح؛
- في التزام الذكر واليقظة والحضور المتجلي في محاسبة النفس؛

- في التزام شكر النعم قولا وعملا؛
- في التزام الصبر الجميل على الابتلاء؛
- في التزام التقوى أساسا للتفاضل على صعيد الجماعة؛
- في تجنب الإفساد ولزوم التأدب مع جميع المخلوقات الحية والجامدة، وذلك من باب التأدب مع الخالق؛
- في تبني نهج التوسط والاعتدال ونبذ الغلو والتشدد؛
- في تجنب الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب وسائر الاحتياجات.

3. أداء العبادات واستجلاء ثمراتها في السلوك:

أ. إقناع الناس بالالتزام بالعبادات على وجهها الصحيح؛

ب. الاقتران بين القيام بالعبادات وبين ثمراتها في الوازع الذي يدفع المنكر ويؤهل للمعروف؛

ج. التشجيع على الإقبال على الصلاة ولاسيما في المسجد؛

د. العمل على تصحيح انحرافات اجتماعية تتعلق بالصيام؛

هـ. تصحيح الممارسات الاجتماعية المخالفة لمقاصد الحج والعمرة؛

و. الحرص على إيتاء الزكاة الواجبة؛

ز. الحث على مزيد الإحسان لعلاج أنواع الهشاشة ومنها:

- الفقر؛
- الإعاقة؛
- المرض المزمن.

4. صدق المعاملة ورعاية الحقوق:

أ. الحث على الحرص على أكل الحلال بالإخلاص في العمل المأجور وتجنب الغش في المعاملات؛

ب. دعم الأسرة بتقوية المودة بين الأزواج والتشجيع على الزواج؛

ج. الحرص على حماية الأولاد من العنف ومن الإدمان؛

د. الحث على إصلاح ذات البين دون اللجوء إلى المحاكم؛

هـ. التنبيه على أنواع التبذير التي ينبغي تجنبها؛

و. الحث على السلوكيات التي من شأنها الحفاظ على الصحة مع إشراك الممثلين للصحة إن وجدوا، ومنها العوائد المتعلقة بالتغذية؛

ز. الحث على التدابير التي من شأنها تحسين التعليم مع إشراك القائمين بالتعليم؛

ح. تعزيز مظاهر جودة الحياة مثل النظافة والنوم وتجنب الإدمان على استعمال وسائل التواصل الاجتماعي والإسراف في الأكل والشرب؛

ط. دفع المفاسد عن حياة الأفراد والمجتمع باستعمال وازع القرآن، من مثل:

- الأمراض الناشئة عن تعاطي الممنوعات والمحرمات؛
- الجريمة؛
- مخالفة القانون؛
- الاكتئاب؛
- الإدمان؛
- الرشوة؛
- الشقاء العائلي؛
- العنف؛
- حوادث السير.

تشمل الخطة، إذن، محاورَ متعددةً في كل منها تفصيل؛ وستُعطى الأولويةُ في كل محور لبيان الارتباط والصلة الوثيقة بين أركان الدين وأصوله، وبين ثمراتها وتجليها في مضامين الحياة المختلفة؛ ولْنَقُلْ، لبيان الخلفية الإيمانية للأعمال تصحيحا لوضع الانفصال الطارئ عليها اليوم، في مخالفة الأقوال للأفعال، أو مخالفتهما معا للإيمان وسائر العبادات والطاعات؛ ذلك أن الآمر بالفعل أو الترك، في القول أو العمل، هو الله تعالى الذي نؤمن به ونتقرب إليه بذلك الفعل أو الترك. هذا مع استحضار منهج أهل السنة من سلف الأمة، في كون الأعمال شرطَ كمال في الإيمان، وليست شطرا أو قسيما له يبطل بتركها؛ بل

صاحبها مُؤمِنٌ عاص عليه التوبة والإقلاع عن المعصية؛ وذلك احترازا من نزعة التكفير، أو الإخراج من الملة بترك الأعمال، التي تجنح إليها بعض تيارات الغلو في الدين.

إجمالا، ستكون خطة التبليغ دائرة حول المقاصد والمحاور المذكورة، تتكرر موضوعاتها حتى تتقرر بالبيان والتوضيح اللازمين، وبوسائل الخطاب الضرورية للتواصل والتفهيم والإقناع بالجدوى؛ ثم تتجدد موضوعاتها لتتسع دائرة المعالجة ما أمكن، لتشمل قضايا جديدة ومحاور أخرى يستدعيها واقع الناس وحياتهم. وستبقى المحاور الكبرى المؤطرة للاشتغال دائرة، مع كليات ومقاصد الدين في شمولها واستيعابها، والتي يمكن إعادة صياغتها مرة أخرى كما يلي:

1. **الإيمان المثمر للعمل الصالح**: في علاقته بتزكية النفس وتحريرها من هواها، وحملها على المحاسبة واستحضار الرقابة الدائمة؛
2. **العبادات المثمرة لتجنب المحرمات**: تحققا بثمراتها المختلفة:

- **في الصلاة**، باعتبارها صلةً دائمة بالله تنهى عن الفحشاء والمنكر؛
- **وفي الزكاة**، باعتبارها تطهيرا للنفس من الشح وتكافلا بين العباد؛
- **وفي الصوم**، امتناعا عن المحرمات والمهلكات، بعد تطويع النفس على الاعتدال في إتيان المباحات؛

- **وفي الحج**، ارتقاء بالنفس وتطهيرا لها بالتجرد والتضرع، بمشاهدة آثار النبوة والتعارف بين الناس.

3. **المعاملات المثمرة لحسن العلاقات**: قياما بالواجبات وأداء للحقوق وتحريا للكسب الطيب، دفعا لآفات الغش والخيانة والظلم وتعدي الحدود؛
4. **الاستقامة المثمرة للتنمية**: وخفض الكُلفة عن الأفراد والأسر والدولة بالتزام المنجيات، وتجنب المهلكات والمحرمات المُضِرّة: بالنفوس، والعقول، والأموال، والأعراض.

3. محاور الاشتغال الاعتيادية في عمل المجالس العلمية

إن كل محاور ومجالات العمل في المجالس العلمية ينبغي أن تصب في خطة تسديد التبليغ؛ وإن كان استهداف مناطق التجريب بهذه الخطة بشكل كثيف، فذلك لاختبار نجاعة الخطة وفعاليتها في حيز قابل للرصد والتقويم، أما الأصل فهو شمولها وامتدادها في عموم المواطنين والمواطنات؛ وعلى المجالس العلمية في سائر أنشطتها أن تكون محيطا داعما لمناطق التجريب، وتعمل على تأهيل نفسها باستمرار لاستقبال خطة التبليغ.

تسهم الخطة بدورها في خدمة الثوابت الدينية وما اتفقت عليه مشيخة العلم بالمغرب، عقيدة وفقها وسلوكا وسياسة. وفي تعزيز الإرشاد الديني وتقويم صور التدين البعيدة عن روح الدين السمحة، وعن جوهره في الاعتدال، في العبادات وفي المعاملات وفي العلاقات، وسائر الطاعات والقربات.

تسهم الخطة كذلك في إحياء روح التضامن والتعاون بين الناس على أوجه الخير والبر المختلفة، وذلك بالتشجيع على البذل والعطاء وعلى الإحسان والتكافل عموما؛ لكن على وجه أخص، تنبيه الناس إلى وجوب إخراج زكواتهم التي أمر الله تعالى بها لمستحقيها. ويمكن لكل حي أو قرية في خطة التجريب تنظيم أوجه الإحسان والتكافل بما يقلل من حالات الاحتياج، أو الأمراض المستعصية، وسائر الخدمات الأسرية والاجتماعية.

تهتم الخطة بصون المساجد ووظائفها الثابتة، من جهة وقايتها من التشويش والمنازعة وأسباب الفتنة والخلاف؛ ومن جهة تنميتها عناية بكتاب الله، وبسنة الرسول الكريم ﷺ، وسائر الأنشطة العلمية الأخرى المقررة.

ويسهم المرشدون والمرشدات، من خلال أنشطتهم المقررة في المهام الموكولة إليهم، في تعزيز خطة التبليغ؛ وتهيئة المحيط لدعم مناطق

التجريب واستقبال الخطة لاحقا. أما المرشدات والمرشدون المنسقون الذين تم إلحاقهم بالمجالس العلمية المحلية، فمهمتهم بالأساس مواكبة تنزيل الخطة، ومتابعتها الميدانية، والإسهام في تقويمها حسب ما هو مقرر في برنامج التنزيل. ويبقى الوعظ والخطابة أهم قنوات التدخل والمواكبة، التي يباشرها الأعضاء والخطباء والوعاظ والواعظات.

5. التنزيل

1. متطلبات قبلية لتنزيل خطة التبليغ

حيث يتوقف إقناع العلماء بمهمتهم على شروط منها:

- اليقين بضرورة السعي في التحقق بوعد الله تعالى لعباده بالحياة الطيبة، إن هم أخلصوا الإيمان وأصلحوا الأعمال وتخلقوا بالخلق الحسن؛
- اليقين بكون كل مكلف مدعوًّا إلى بذل جهده الخاص، الذي به يتحصّل الجهد العام، الذي به يتحقق التغيير وتنصلح الأحوال؛
- الثقة بهوية البلد وبثوابته الدينية في غمرة أنواع عديدة من المتدخلين؛
- التمكن من الفقه الضروري بالزمان الحاضر وتحدياته ومتغيراته؛
- التمكن من فقه الواقع والشروط المتحكمة فيه؛
- الحرص على معرفة أحوال الناس واحتياجاتهم الضرورية فما دونها؛

- ضرورة مراعاة المقاصد ومراعاة الأولويات والمراتب؛
- المذاكرة والتفهيم مع المعنيين المباشرين في خطة التبليغ، إشراكا ودمجا وتنسيقا، بما يجعلهم متملكين لهذا المشروع متشبعين به فكرة وحريصين على تنزيله واقعا؛
- استحضار وازعي القرآن والسلطان، تقوية للحوافز الذاتية والمعنوية، وحرصا على النظام والقانون الذي به استتباب السلم والأمن.

2. العناصر الضرورية لتنزيل خطة التبليغ

يتم تنزيل مشروع التبليغ بعد إعداد وثائقه وخطته مركزيا، من خلال العمل الدؤوب للجان المكلفة والمكونة من السادة العلماء، عبر مراحل تناط فيها المسؤولية برؤساء المجالس العلمية الجهوية، ثم برؤساء المجالس العلمية المحلية، ومن خلالهم كل القيمين المضطلعين بتنفيذ الخطة كالآتي:

1. **التعريف بمشروع التبليغ ومنهج تنزيله**، وذلك بعرضه على:
   - الرؤساء الجهويين؛
   - الرؤساء المحليين؛
   - أعضاء المجالس المحلية؛
   - المرشدين والمرشدات في مناطق التجريب؛

- الخطباء والوعاظ والواعظات في مناطق التجريب؛
- الشركاء المساعدين من لجان الأحياء والقرى.

2. **توفير المادة العلمية ومضامين التبليغ**، وتشمل:
   - خطب الجمعة؛
   - دروس الوعظ؛
   - المادة الإعلامية في القنوات التلفزية والإذاعية؛
   - المادة التواصلية في وسائل التواصل الإلكتروني؛
   - دليل خطة التبليغ؛
   - كتاب أمانة التبليغ؛
   - كتاب يوميات الإرشاد؛
   - كتاب الدين للحياة؛
   - كتاب سبيل العلماء؛
   - دليل عمل المرشدين والمرشدات؛
   - دليل عمل المجالس العلمية.

3. **اختيار مناطق التجريب**:

في مرحلة أولى، يتم اختيار مناطق تجريبية محددة لتنزيل خطة التبليغ، ذلك لأنه يصعب تعميم التجربة على كل المناطق، كما يصعب ضبط عملية التنزيل ومتابعتها وتقويمها؛ ولهذا تعتمد جل البحوث والدراسات الميدانية في العلوم كلها، اجتماعية إنسانية أو مادية تقنية

وطبيعية، على عينات نموذجية هي وحدات قياسية يتم تعميمها بعد ذلك حين اطراد نتائجها وتحققها بالمقاصد والغايات المتوخاة منها.

وبناء عليه؛ فإن خطة التبليغ ستستهدف في مرحلة أولى: أربعة أحياء في المدن، وأربع قرى في البادية؛ والمقصود بالحي محيط مسجد ونطاقه بحيث يكون المسجد القلب النابض فيه، ومصدر الإشعاع الذي تنطلق منه الخطب والمواعظ والنصح والإرشاد إلى هذه الحياة الطيبة، ومثله في القرى وفي الجبال أيضا.

وينبني هذا الاختيار على معايير أهمها مناسبة الحي أو القرية لاستقبال الخطة من حيث تهيؤ الظروف والإمكانيات الضرورية للنجاح؛ ويوكل هذا الاختيار إلى المجالس العلمية المحلية والقيمين الدينيين الفاعلين فيها.

4. فريق العمل المكلف بالتنزيل:

يتكون الفريق المشرف على عملية التنزيل في منطقة التجريب من: رئيس المجلس العلمي المحلي، عضو مكلف بالمتابعة، إمام المسجد، خطيب المسجد، المرشد والمرشدة اللذين يقع المسجد في منطقة تعيينهما، الواعظ والواعظة في المسجد، جماعة المسجد المنتدبة، المندوب الإقليمي للشؤون الإسلامية. وكما تقدم يعقد هذا الفريق لقاءات للتعرف على الخطة ثم لقاءات للتعريف بها؛ ويمكن للرئيس

عند الحاجة، تكليف أعضاء آخرين، أو مرشدين ومرشدات، أو وعاظ وواعظات، إذا تعذر على بعض أعضاء الفريق مواصلة العمل لسبب من الأسباب. ويمكن تحديد المهام الإجمالية لعناصر هذا الفريق في الآتي:

- يعتبر رئيس المجلس العلمي المحلي مكلفا بالإشراف على عمل هذا الفريق في تنزيل الخطة طيلة مراحلها المختلفة؛
- ينسق رئيس المجلس العلمي المحلي مع الرئيس الجهوي باستمرار طيلة مراحل تنزيل الخطة؛
- يساعد الرئيس المحلي في تنزيل الخطة السيد المندوب الإقليمي، ويحضر هذا الأخير اجتماعات اللجنة لتعزيز عملها؛
- يتابع عضو المجلس تنزيل الخطة في منطقة التجريب، كما يتابع عن كثب عمل الفريق في الخطبة والوعظ وسائر الأنشطة؛
- ينجز المرشدون والمرشدات، والخطباء، والوعاظ والواعظات، ما أسند إليهم من مهام: الوعظ، والإرشاد، والخطابة، ولقاءات التحسيس، والأنشطة المختلفة الموازية؛
- تواكب خطة التنزيل أنشطة إعلامية يساهم فيها الرؤساء والأعضاء والمرشدون والمرشدات، تستثمر في وسائل التواصل المختلفة وفي الإذاعات المحلية والجهوية؛

- تساعد جماعة المسجد المنتدبة والمكونة من فضلاء الحي، علماء أو باحثين أو محسنين أو أطر طبية أو قانونية أو تربوية أو أمنية...، أو غيرهم ممن ترى اللجنة إلحاقهم بها، وممن تتوخى إسهامهم في إنجاح الخطة، مع انتفاء الموانع المعيقة للعمل؛ حيث ينبغي أن تسهم هذه الجماعة في تذليل كثير من الصعاب، وفي اختصار مسافة التعرف على منطقة التجريب، وفي التواصل مع ساكنة الحي أو القرية، وغير ذلك من الخدمات؛ هذا بعد تحصيل الجماعة لقناعة تامة بالمشروع وبجدواه.

5. قنوات التبليغ:

- خطب الجمعة؛
- دروس الوعظ؛
- مواد عبر قنوات الإعلام المرئي والمسموع؛
- مواد عبر المواقع الإلكترونية؛
- وعظ القرب المعهود به للمرشدين والمرشدات؛
- البرامج الثقافية في الفضاءات العامة؛
- العمل الاجتماعي والإحساني؛
- الزيارات التفقدية والتواصلية الميدانية؛
- اللقاءات التعريفية والتعارفية بمسجد منطقة التجريب ومحيطه.

3. الإعلان عن الانطلاقة مركزيا

يعلن عن انطلاقة خطة تسديد التبليغ، كل من السيد الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى، ومعالي السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، في لقاء تواصلي عن بعد مع جميع المكونات المشاركة في هذه الخطة. ويشمل هذا الإعلان:

- بيان قيمة المشروع سياقا ومقاصد وموضوعات ووسائل؛
- التعريف بوثائق المشروع ودعامته؛
- تعيين لجنة مركزية للمتابعة والتقويم.

4. اللقاءات التواصلية الجهوية

تنظم لقاءات تواصلية جهوية تشرف عليها الأمانة العامة، وينسق أعمالها الرؤساء الجهويون ويحضرها الرؤساء المحليون والقيمون الدينيون المشاركون في الخطة، وتشمل:

- بيان قيمة المشروع سياقا ومقاصد وموضوعات ووسائل؛
- التعريف بوثائق المشروع ودعامته؛
- التعريف بمواصفات اختيار مناطق التجريب ولجان الأحياء المساعدة؛
- التعريف بالخطة ومناهج العمل الموحدة في تنزيلها وتتبعها من لدن المكلفين؛
- تعيين لجنة جهوية للمتابعة والتقويم.

5. اللقاءات التواصلية المحلية

تنظم لقاءات تواصلية محلية ينسق أعمالها الرؤساء المحليون يحضرها الأعضاء والمرشدون والمرشدات، والقيمون الدينيون المشاركون في الخطة، وتشمل:

- بيان قيمة المشروع سياقا ومقاصد وموضوعات ووسائل؛
- التعريف بوثائق المشروع ودعامته؛
- التدقيق في مواصفات اختيار مناطق التجريب ولجان الأحياء المساعدة؛
- توزيع مهام الخطة على المكلفين بالتنفيذ حسب الجدولة المحددة؛
- ضبط مناهج العمل الموحدة في التنزيل من لدن المكلفين؛
- تعيين لجنة محلية للمتابعة والتقويم.

6. التتبع

إن كل ما تقدم يستلزم تتبعا دقيقا لمراحل التنزيل، وللآثار المتوقعة والاختلالات العارضة، وللطرق والآليات المعتمدة؛ حيث ينبغي أن تعمل كل اللجان المسؤولة على تتبع كل خطوات التنزيل، ويندرج في ذلك:

أ. التتبع الكلي للخطة

- تتبع انسجام تنزيل الخطة مع مقاصدها، ومدى التزامه بمادتها ومحاورها العلمية المقررة؛
- تتبع التفاعل الإيجابي والسلبي لعموم المواطنين، ومستوى الإنجاز الداعم على صعيد كل المجالس العلمية المحلية والجهوية؛
- تتبع التفاعل الإيجابي أو السلبي، في دائرة المسجد في منطقة التجريب، مع برنامج الخطة ومدى استجابة الناس لمضامينه؛
- تتبع الآثار المرتقبة القريبة والمتوسطة في الخطة؛

- تتبع فاعلية وانخراط الشركاء المساهمين في الخطة ومدى انسجامهم في العمل؛
- استثمار اللقاءات الأسبوعية لرصد الاختلالات وترصيد المكتسبات؛
- يبقى الحسم في كل خلاف أو تداخل في المهام، للمؤسسة العلمية المشرفة على الخطة، محليا ثم جهويا ثم مركزيا.

ب. التتبع الجزئي للخطة

- تتبع تنزيل كل قضية تفصيلية داخل الخطة عبر مراحلها المختلفة؛
- قياس الأثر استنادا على مؤشرات واضحة في منطقة التجريب مثلا: في التدين، أو في الصحة، أو في الأخلاق، أو في البيئة...، أو غيرها؛
- رصد التغييرات من قبل العلماء والأعضاء والمرشدين والمرشدات؛
- إعداد فريق التدخل لتقارير أسبوعية عن سير العمل في مناطق التجريب وفق بطاقات مخصصة لهذا الغرض؛
- إعداد المجالس العلمية لتقارير شهرية عن مستوى التقدم في الإنجاز وفق بطاقات مخصصة لهذا الغرض؛

- إعداد المجالس الجهوية لتقارير شهرية عن مستوى التقدم في الإنجاز وفق بطاقات مخصصة لهذا الغرض؛
- إعداد الأمانة العامة لتقارير وطنية دورية، عن مستوى التقدم في الإنجاز وفق بطاقات مخصصة لهذا الغرض؛
- يتم قياس التقدم في العمل أو التأخر فيه من خلال مؤشرات دالة على ذلك؛
- تتم صياغة التقارير بدقة وانتظام مراعية: مقاصد الخطة العامة، ومحاورها الأساسية، وأساليب التبليغ المعتمدة فيها، والآثار المترتبة عليها.

7. التقويم

وهو عمل إجرائي ينظر في حصيلة كل مرحلة من مراحل التنزيل، ويراد به تجاوز عوائق الخطة، وموانع تنزيلها وتحقق مقاصدها؛ كما يراد به تثمين مكاسب الخطة وترصيدها، ترسيخا لها في عمق التجربة كي تستفيد منها مناطق أخرى، وأيضا لتقاسم أجود الممارسات وأفضل أساليب التنزيل تخطيطا وتنفيذا وتقويما.

ويستند التقويم هنا على عناصر نذكر منها:

- استحضار مقاصد التبليغ ومحاوره المنصوص عليها في الوثائق المؤطرة؛
- التشخيص الجيد للمشكلات الطارئة في مناطق التجريب والتعرف على أسبابها وتداعياتها، واعتماد المؤشرات الدالة عليها لقياس النسبة والأثر؛
- التحليل الجيد ومدارسة هذه المشكلات مع فريق العمل؛

- اقتراح الحلول المناسبة ورسم ملامح جديدة للتدخل نحو أفق أفضل؛
- استشارة أهل الاختصاص في القضايا المعروضة من مؤسسات المحيط، (تربوية، أو صحية، أو اجتماعية، أو أمنية، أو قضائية...)، وإشراكهم في التقويم؛
- رصد المنجزات الإيجابية في التنزيل لجعلها قابلة للتعميم، واعتماد المؤشرات الدالة عليها لقياس النسبة والأثر؛
- صياغة تقارير تقويمية محلية مواكبة لخطة التنزيل الميداني في مناطق التجريب؛
- صياغة تقارير تقويمية جهوية مواكبة لعمل المجالس على صعيد الجهة، ترصد نسب الإنجاز والإخفاق، وتقارن بين المعطيات، وتقترح ملامح وآفاق جديدة في التدخل؛
- صياغة تقرير تقويمي مركزي يرصد نسب الإنجاز والإخفاق، ويعمل على بلورة وبرمجة الخطط الجديدة في التدخل؛
- اعتماد صيغة التقارير النموذجية المخصصة لكل مستوى من مستويات التقويم.

8. الوثائق

تستند خطة التبليغ إلى مقررات دورة المجلس العلمي الأعلى الربيعية (31)، المنعقدة بالرباط يومي 25 و26 ذي الحجة 1444هـ الموافق 14 و15 يوليوز 2023م؛ والتي صادقت على إقرار الخطة بالإجماع، بالإضافة إلى مجموعة من الوثائق العلمية التي أنجزتها الأمانة العامة بهذا الصدد، وكذلك الوثائق المرجعية التي أنجزها السيد معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المؤطرة في هذا الباب.

وتستمد خطة التبليغ مضامينها العلمية والمنهجية من مجموعة من الكتب المرجعية والدلائل الموجهة التي أعدت لمواكبة هذا المشروع، بحيث تستلهم منها مواضيع: لخطب الجمعة، والوعظ والإرشاد، وعقد الندوات والأيام الدراسية، واللقاءات التواصلية المختلفة؛ كما تستلهم منها منهجية العمل، وحدود الاختصاصات، وحلولا إجرائية لمشكلات عارضة، وأساليب في البيان والتذكير، وطرائق في معالجة الآفات السلوكية... وغيرها. ويمكن تقديم خلاصات تعريفية بها كالآتي:

1. دليل عمل المجالس العلمية الجهوية والمحلية

هو كتاب منظم لعمل المجالس من جهة التأطير القانوني لها، باستنادها إلى الظهائر الشريفة، وبتحديد اختصاصاتها المنسجمة مع طبيعة المهام المنوطة بها.

ثم هو كتاب محدد للمرجعية المذهبية في الاختيارات المغربية على مستوى: العقيدة، والفقه، والسلوك، والسياسة؛ وللمقاصد الدينية الكبرى المتجلية في كليات القيم والأحكام، في درء المفاسد عن حياة الأفراد والمجتمع وفي جلب المصالح لهما؛ هذا فضلا عن هيكلة المجالس، واللجان المنبثقة عنها، والتعريف بمحيط المجالس وشبكة علاقاتها في التعاون مع غيرها.

2. الدليل المرجعي لخطة التبليغ، في التأصيل والفهم والتنزيل

هو الكتاب الذي بين أيدينا، وكما يدل عليه عنوانه فهو يتوخى تأصيل الخطة في مرجعية الدين من خلال منظور مستلهم لما أمكن من المعاني والدلالات التي تزخر بها نصوص الدين في أبواب التبليغ والإصلاح والتغيير؛ بالإضافة إلى شرحه الواضح لموضوعات الخطة ومقاصدها ومناهجها والمقتضيات الضرورية لتنزيلها وتتبعها وتقويمها؛ فهو كتاب في التوجيه المباشر المتصل بتحديد المنظور إلى الخطة، وبعناصر تنزيلها وتقويمها عبر مراحلها المختلفة، وبالآثار والثمار المترتبة عليها.

3. الدين للحياة

هو كتاب مرجعي يوفر مادة علمية في أزيد من أربعين درسا منتقاة، يمكن الاستناد إليها في إعداد الخطب والمواعظ والندوات؛ وهذه المواضيع تجيب عن إشكالات فكرية ومنهجية مرتبطة بفهوم خاطئة للدين وللتدين، في الإيمان والعمل، وفي العبادات والسلوك، وفي الحريات والحقوق، وفي المسؤوليات الفردية والجماعية...؛ وتقدم تحفيزا معنويا في البذل والعطاء، وفي الاقتصاد وعدم الإسراف والتبذير؛ وفي البر والتقوى، وفي فعل الخيرات، وفي الاستناد إلى وازعي القرآن والسلطان في معالجة الآفات والانحرافات الخطرة، وفي الاعتدال والتوازن الفكري والسلوكي... وغير ذلك.

4. يوميات الإرشاد

هو كتاب مرجعي ملهم ومرشد، تمت صياغته في قالب روائي، لكنه حافل بالمعطيات والنوازل وطرائق العمل في الإرشاد، بما لا يستغني عنه إمام مرشد أو مرشدة؛ فهو أشبه بالدليل أو الصاحب المرافق من لحظة التعيين إلى الاضطلاع بالمهام المختلفة؛ وهو حافل بعرض المشكلات، الواقعة والمتوقعة، التي تعترض سبيل المرشدين والمرشدات، وعرض واقتراح الحلول المناسبة لها، فضلا عن تأطيره الفكري لهذا العمل بالثوابت والاختيارات المذهبية والمقاصد الكلية للدين.

5. أمانة التبليغ تأصيلا وتنزيلا

هو كتاب جامع في تأصيل التبليغ في دلالاته الشرعية من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي صوره المختلفة في عمل الأنبياء والرسل، وفي عمل نبينا عليه الصلاة والسلام؛ حيث رصد جملة من مواصفات التبليغ القرآني في تنوع لغته وفي تعدد خططه، كما رصد جملة من مواصفات التبليغ في عمل الرسول ﷺ، انطلاقا من شخصه الكريم وامتدادا إلى طرائق تعليمه لأصحابه ﷺ، وحفزهم على البذل والعطاء. يعالج الكتاب أيضا قضية التنزيل ومقصد تحقيق سعادة الإنسان حيث خصص لمفهوم السعادة الذي تتجاذبه اليوم تيارات مختلفة، حيزا معتبرا شمل دلالاتها الشرعية والأخلاقية والإنسانية عموما.

6. سبيل العلماء

هو كتاب يرصد تطور مشيخة العلم بالمغرب، ويعرف بمعنى العلم والعالم، والثوابت الدينية المتوارثة عبر الأجيال، والقيم الضرورية والمقاصد الكلية التي بها تستقيم الحياة، وهي مجالات اشتغال العلماء في نصحهم وتبليغهم وأدائهم لأماناتهم؛ وهي: أمانة الدين في التعبد والسلوك، وأمانة الشريعة في النظام، وأمانة التبليغ في النصح، وأمانة الأسوة في البذل والعطاء، وأمانة الشهادة في الحقوق والعلاقات؛ كل ذلك في النفس ومع الناس من خلال موضوعات الأسرة والمجتمع والصحة وغيرها.

7. دليل عمل المرشدين والمرشدات

هو دليل منظم لعمل المرشدين والمرشدات، من جهة التزامهم وتعاقدهم الإداري، ومن جهة المهام العلمية الموكولة إليهم وهي من صميم تبليغ الدين في قيمه وأحكامه المقررة فيه؛ مع تأكيد خصوصية هذه الفئة وتميزها بمهام التواصل مع المواطنين وتأطيرهم المباشر، والتعرف على أحوالهم في أسرهم وجماعاتهم، وفي مناسباتهم المختلفة، ورصد الاختلالات والانحرافات ومعالجتها بالطرق السليمة المناسبة. ويدخل في هذا الكتاب تنظيم عمل المرشدين والمرشدات المنسقين لعمل زملائهم العام من جهة، والمساهمين ميدانيا في تنسيق العمل في خطة التبليغ موضوعات وتنزيلا وتتبعا وتقويما.

خلاصة

لا يخفى أن نجاعة أي عمل إنما تكون بمدى الأثر الذي يتركه، والنتائج التي يُتوصل إليها من خلاله، إذ لم يخل منهج الدين نفسه من التنصيص على ترتيب الآثار المعنوية والعملية على كثير من العبادات والمعاملات؛ وهي التي عبر عنها العلماء بالغايات والمقاصد، وبكون روح التشريع وفلسفة الدين إنما هي في جلب المنافع والمصالح للناس، ودرء المفاسد والمضار عنهم دنيوية وأخروية؛ كما عبروا عنها بفقه المآلات باعتبار ما تنتهي إليه الأقوال والأفعال وسائر الاجتهادات وأضرب النظر، وبتعليل الأحكام وضرورة اعتبار الحِكم المرعية فيها.

وكل ذلك لكي لا يكون فعل الإنسان أو قوله عَرِيّاً عن الحِكمة وعن الإبصار الضروري لما يحفّ به؛ وهذا أيضا مقصد القرآن الكريم في قول الله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾

[سورة محمد، الآية 24]،

إذ التدبر نظر في العواقب وفيما تنتهي إليه الأمور؛ مما يجعل نظر الناظر على قدر من العلم والفقه، والسعة والإحاطة والاستشراف، متحررا من آفات القصور والضيق والجمود؛ ومقصد القرآن كذلك من قَصِّه قصَص الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم، والاستجابات المختلفة التي كانت منهم قِلَّة أو كثرة، مع تشخيصٍ للواقع وذكر للموانع وسبل تجاوزها.

فهذا إذن منهج إسلامي أصيل، تجتهد خطة تسديد التبليغ في الاسترشاد بمعالمه والتحقق بمقاصده، بجعلها ما يظهر من التغيير على أحوال الناس، وما تتركه من آثار على سلوكهم ومعاملاتهم وعلى نمط عيشهم وحياتهم، من مؤشرات النجاح ولو بنسب قليلة تُؤخذ بالتدرج شيئا فشيئا.

ثم إن الله تعالى وعد أنه إذا اجتمع الإيمان والعمل الصالح، أثمرا حياة طيبة في الدنيا، وترتب عليهما الجزاء الحسن في الأخرى؛ ووعد أيضا بالاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين، ودفع الخوف وتحصيل الأمن والطمأنينة والوقاية من الخسر، والمغفرة والود والدرجات العلى في الجنة؛ وغير ذلك مما تشهد له الآيات الكثيرة الوفيرة في هذا الباب. ويبقى جهد الإنسان وسعيه في تحصيل هذا المطلوب قائما باستمرار مُسدَّدا بهدي الدين وإرشاده. ذلك أن المهتديَ بالدين

﴿يَّمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الملك، الآية 23]

ثابت الخطى بعيد النظر؛ وغيره المستغني يطغى ويتبع هواه

﴿يَّمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ [سورة الملك، الآية 23]

لا يكاد يبصر من الحقائق شيئا، ولا يأمن على نفسه السقوط في أي لحظة.

وإن فطرة الدين والاستعداد للتدين في الإنسان، أمر ملازم لكينونته ووجوده؛ وذلك من الحقائق الكبرى المعادلة لحقيقة الوجود الكوني نفسه؛ ولا غنى لتحصيل سعادة الإنسان الحقة إلا من هذا الباب؛ وهذه الإنسانية اليوم تعاني من غياب هدايات الدين وتدفع الثمن باهظا في كل مجال.

فهذه الخطة، سعي لاستعادة الإنسان لقيمه ومبادئه التي بها تتحقق سعادته، وبها يتحقق رُقِيُّه ومعناه في الحياة؛ ولا يخفى كذلك أن من شأن مشروع التغيير هذا، أن يخلق جماعة تتحمس له وتتأطر حوله، لن تنفك تتوسع في مناطق أخرى بقدر نجاعته وإسهامه في خفض كلفة الحياة الباهظة عن الناس، وذلك من الخير الذي ينبغي أن يعم الناس أفرادا وأسرا وجماعات وأمما وشعوبا.

فهرس

- تقديم 7
- كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بمناسبة الإعلان عن «خطة تسديد التبليغ» 13
  1. السياق 35
  2. التأصيل 51
  3. المقاصد 85
  4. المحاور 95
  5. التنزيل 111
  6. التتبع 119
  7. التقويم 123
  8. الوثائق 125
- خلاصة 131